محمّد الشّريف

كرة تختنق

حكايات تونسية..

من ملاعب الشغف والفساد والعنف

كرة تختنق

محمّـــــد الشريـــــف

كرة تختنق

حكايات تونسية.. من ملاعب
الشغف والفساد والعنف

الكاتب: محمّد الشريف

عنوان الكتاب: كرة تختنق

التدقيق اللغوي: الأستاذ الأسعد النجار

الطبعة الأولى: ديسمبر 2025

ISBN : 978- 9909-00-914-7

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الهاتف : 258 999 58

البريد الإلكتروني: mohamedch791966@gmail.com

إهداء

إلى والديّ... سلامٌ لروحيهما
إلى عائلتي... القوة الدافعة
أدين لها بكل شيء
الكلمات أضيق
من المودّة

شكر وعرفان

إلى رفاق الدرب
في مشوار الصحافة والإعلام الرياضي
رابطوا حول بلاط صاحبة الجلالة
وتصدوا للمتهافتين والغوغاء
فأنتم الأحرار الشرفاء
والبقية إلى زوال
ومزابل التاريخ
دمتم على جبهة القلم والكلمة
صامدين.

تقديم:
مفارقات الرياضة التونسية... أبطال يُولَدون من هشاشة المنظومة

الإعلامي لبيب الصغير

في تونس، تُولد البطولات وسط هشاشة المنظومة، ويُصنع الأبطال من رحم المعاناة. إنجازات باهرة تتحقق في ملاعب مهترئة، وفي غياب الدعم والرعاية، وأبطال يرفعون الراية الوطنية متحدين الفقر والإهمال وتوتر الأجواء الرياضة هنا، أكثر من مجرد مباريات ونتائج؛ إنها معركة يومية من أجل البقاء، من أجل إثبات الذات، من أجل حلم يُخنق أحياناً بالفساد والعلاقات الخاصة، ويُجهض أحياناً بالإهمال المؤسسي. الملاعب مهترئة، والميزانيات ضعيفة، والدعم متقطع، فيحظى بعض الرياضيين العالميين والأولمبيين برعاية محدودة، وتظل البقية ضحايا الحرمان والنسيان وتتعمق الأزمة في التكوين القاعدي وأصناف الشبان، حيث يؤدي التسيير الضعيف والمصالح الضيقة، إلى قتل المواهب ودفن **الإبداع وفقدان الكم والكيف في صنف الأكابر** ولا تتوقف الأزمة عند حدود

التكوين، بل تمتدّ إلى أزمة تسيير متفاقمة بفعل العزوف شبه التام عن تحمّل المسؤولية وغياب الموارد المالية، الأمر الذي يفتح المجال أمام أشخاص يفتقدون الأهلية والكفاءة، فتنتهي التجارب غالباً إلى فشل ذريع ينعكس مباشرة على النتائج والمردود الرياضي. ويزيد الوضع تعقيداً تدخل الأولياء في الشؤون الفنية والمادية، ما يجعل الإدارة عاجزة عن وضع حد للفوضى المستمرة داخل الجمعيات والمنتخبات، كما أصابت الأزمة الجانب المالي، مع تراجع مداخيل شركة النهوض بالرياضة، العمود الفقري للقطاع، وتفشت **النعرات الجهوية والتعصب الأعمى** داخل الجمعيات والفرق، بينما حول الإعلام الرياضي منابره إلى فضاء لتصفية الحسابات، بعيداً عن أخلاقيات المهنة والمصلحة العامة ثم تأتي **أزمة التحكيم**، حيث تظل العدالة الرياضية غائبة، ويختل الميزان رغم وجود تقنية «الفار»، حيث تكثر الاتهامات، ويغيب التحكيم التونسي عن أكبر التظاهرات القارية والدولية، ما يضع صورة الرياضة التونسية ومصداقية إنجازاتها على المحك ورغم كل هذه التحديات، يبقى الأمل قائماً. فالتشخيص واضح، والحلول ممكنة، والإمكانات متوفرة... لكن الإرادة والالتزام بالتطبيق يظلان الشرط الحاسم للخروج من الأزمة، وبناء أرضية صلبة تُنصف الرياضيين وتعيد الثقة إلى المجتمع الرياضي بأكمله، هذا الكتاب «كرة تختنق: حكايات تونسية من ملاعب الشغف

والفساد والعنف» يكشـف عن **المفارقات**، عن أبطال يولدون مـن رحم المعانـاة، ومنظومة يخنقها الفسـاد والإهمال، وعن ملاعب يمزقها الشغف والعنف.

فهـو سـرد حقيقي لقصـص صمـود الرياضييـن، وللكفاح اليومـي من أجـل تحقيق الإنجـازات رغـم كل العراقيل. كما يقدّم الكتاب رؤية شاملة لإعادة بناء رياضة تونسية أكثر صلابة وقـدرة علـى مواكبة طموحـات أبنائها، رياضة تليـق بتاريخها وإنجازاتها، وتحمي مواهبها، وتضع حدًّا لدوّامة العنف داخل الملاعـب وخارجها، عبـر اعتماد مقاربـات تربوية ومجتمعية بديلة لا تقتصر على الحلول الأمنية فقط، بل تفتح الطريق نحو مصالحـة حقيقية بين الجماهير والمشـهد الرياضي. وفي هذا الإطار، يصبح الإعلام الرياضي **وسـيطًا للتقريب والمصالحة لا أداة للتحريض وإشـعال الفتنة**، فيقوم بدوره وفق أخلاقيات المهنة وشرفها، مساهماً في تعزيز بيئة رياضية صحية ومستقرة، بما يؤسس لمستقبل أفضل.

المقدمة :
الرياضة التونسية في سياقات الوطن

عرفت الدولة التونسية في مطلع القرن الحادي والعشرين أحداثا اختلف في توصيفها وتقييمها التونسيون فسماها البعض «ثورة الربيع العربي» و«ثورة الياسمين» وتسميات عديدة، قسم آخر من الشعب التونسي أسماها تشاؤما «ثورة الربيع العبري» و«الانقلاب» تقودها المخابرات الفرنسية والأمريكية والكيان الصهيوني، تراجع جزء من الشعب التونسي ممن كانوا مع الخروج على طاعة نظام زين العابدين بن علي وسيطرة عائلته على الحكم، رفقة المصالح والبطانة، عن مناصرة الثورة التي ظاهرها مطالب شرعية رُفعت في شوارع المدن التونسية من 17 ديسمبر 2010 إلى مساء 14 جانفي 2011 شعارها الرئيسي «شغل، حرية، كرامة وطنية» وحادت ما سميت «ثورة» عن أهدافها فاشتعلت تكاليف الحياة وازداد الفقر وعمّت الحاجة وتدافعت عائلات بكبيرها وصغيرها على حاويات القمامة تقتات منها.

ضاعت كرامة الثوار وحلت بهم اللعنة وبئس المصير. تفنن محترفو السياسة الجدد في العبث والتلاعب بلقمة عيش الشعب التعيس، وزادت جائحة كوفيد19 – الوضع سوءا

فقضت على أي فرصة لإنقاذ البلاد من التدحرج إلى الهوة السحيقة، زادت السلطة المشتتة في نظام هجين منح الفرصة للانتهازي والمحتال والغشاش والخائن المتسلق إلى السلطة والتحكم في مصير الشعب الخاسر الأكبر من المصاب الجلل «الثورة».

راقب الشعب التونسي ما لا تصدقه عين من «نوابه» في مواقف مخجلة واعتداءات مخزية، قذف وشتم وخوذات الدراجات النارية، ونائب يُظهر رُزمة المال لنائبة كما لو كان في ملهى ليلي.

وبلغت المأساة ذروتها باعتداء أحد النواب على زميلته بالعنف الجسدي على المباشر.

وراقب الشعب ذلك وكفر بهذه الديمقراطية المغشوشة التي جرّت البلاد إلى الإفلاس، وغاصت بها إلى أعماق البئر السحيقة.

دفع الثوار الثمن غاليا، تعقّد الوضع وتردّت المعيشة، وانهارت الخدمات الصحية، والتعليم، والنقل، وتعطّلت الورشات والمصانع ودورات الإنتاج، وارتفعت المطلبية وتفاقمت بكثرة الاحتجاجات والإضرابات عن العمل عشوائيا، وانتشر المهاجرون غير النظاميين من جنوب الصحراء في كل البلاد فزادوا في تعقيد الوضع ليصبح المزاج العام متشنّجا قابلا للاشتعال والانفجار بين ساعة وأخرى.

تأكد الشعب التونسي أنه وقع في الفخ ووقع تغيير وجهة ثورته بعيدا عن مطالبه وحل مكان النظام القديم السيئ نظام جديد أسوأ وأنكى وضاعت أحلامه بين اللوبيات والعصابات في الداخل والخارج وذهبت دماء الشهداء والجرحى سدى.

حتى إذا جاءت ليلة 25 جويلية 2021، قرر الرئيس قيس سعيد حل البرلمان وإغلاق أبوابه ورفع الحصانة عن النواب، وتعليق العمل بدستور 2014، ليعوضه بدستور20 أوت 2022 ويتواصل الصراع بأشكال مختلفة عن الفترة السابقة.

1. واقع الرياضة التونسية

في ظل هذا الوضع المتأزّم الذي تكتنفه الضبابيّة والغموض وانعدام الثقة والقلق من المستقبل، تعقّد واقع الرياضة التونسي أكثر فأكثر كما كل القطاعات. تدفقت الوعود والهروب إلى الأمام، وبلغت الفوضى ذروتها موسم 2024 / 2025 فعرفت كرة القدم التونسية حالة مفزعة من التردّي غير المسبوق.

ولا يغيّر تأهل المنتخب التونسي لكرة القدم لكأس العالم 2026 أمريكيا-كندا-المكسيك شيئا في المشهد القاتم رغم ما أدخله على قلوب عشاق الرياضة من سعادة مؤقتة، فيبقى حدثا استثنائيا خارجا عن السياق، لا يمكن أن يشتت الانتباه عن حالة الفوضى والفساد المستشري والذي لا يختلف حوله اثنان لذلك من موقع المسؤولية الأخلاقية والمهنية والتاريخية على رجل الصحافة والإعلام الصادق والمخلص

أن يقول كلمته ويجهر برأيه فيما يجري، وإلّا سيكون قد أخطأ في حقّ نفسه ومهنته ومن يهمه أمرهم اليوم وغدا وأكثر من ذلك سيكون قد أخطأ في حق الوطن.. لذلك هذا الجهد هو مقترح ودعوة إلى مزيد من التفكير والبحث وإعمال العقل والخيال وفتح أفق الإبداع والابتكار خارج طاحونة المعتاد والتعاطي المحنّط البالي الذي أثبت فشله لسنوات طويلة أداته بيروقراطية بائسة وترسانة قانونية تجاوزها الزمن، ومسؤولون يشغلون المكاتب دون فائدة، ووسائط قديمة تعرقل الجهد وتعطّل محاولة التطوير والتحديث والتجاوز إلى ما هو أنسب لهذه الأيام والمتطلبات الجديدة.

2. إذا كان لابد من كرة القدم

إذا كان لابد من كرة القدم للشعوب تدفن فيها مرارة الحياة ومعاناة التهميش والبطالة والفقر والقمع والاستبداد وتكون ملاذا للجمهور العريض ومنه فئة ممّن يسمون – الألتراس – تراهم في منعرجات الملاعب يحتجون ويتشابكون مع الأمن ومع الجماهير الأخرى ومع الحكام والجامعة والرابطة وإدارة ناديهم والإعلام، وفي آخر المطاف تتصادم مجموعاته فيما بينها.

هنا نكون أمام ظاهرة مركبة علينا أن نبذل جهدا أكبر متعدد الأبعاد والمقاربات حتى نفكك ونفهم الخلفيات والأسباب والمحركات وتتحمّل كل الأطراف ابتداء من الإعلام الرياضي

وعلمـاء الاجتماع والنفس وأجهزة الدولة عموما مسـؤولياتها ولا تتهـرب موجهـة إصبع الاتهام البشـع إلى الآخـر بما يمثّل أسهل المواقف وأغباها فلا أمل لنجاح المقاربة الأمنية بمفردها بقمع مجموعات الجمهور والاستعمال المفرط لعنف الدولة لتحقق السـلم المرجو، بل سنقع في عكس ما نريد، وستتفاقم الأمور وتغدو أكثر تعقيد وخطورة.

وبعد الكارثة لا فائدة من أن يُطل علينا من يتظاهر بالأسـف والحسـرة وتقديم كبش الفداء، فيما تبقى الأوضاع على حالها وأسوأ.

فيطرح المتحدث الرسـمي أو غير الرسـمي من منبر الفشل الذريع، الأسئلة السخيفة، ويشير بمكر إلى الخسائر والأضرار بالأرقـام والتقاريـر القاصـرة عن المعالجـة الجديـة والعقلية الذكيـة ويكـون المشـهد مقطعا من مسـرحية تافهـة مخرجها وممثلوهـا لا يقنعـون الجمهور من جهة، ومـن جهة أخرى لا يهتم بهم أحد، ويبقى الخطر قائما ويزيد.

الفصل الأول

العنف في كرة القدم

1. هل العنف في كرة القدم أصيل أم دخيل؟

يستمتع عشاق كرة القدم بمشاهدة مستويات راقية من اللعبة خلال المناسبات الكبرى مثل مسابقة كأس العالم التي تضع الأمم في مواجهات تقدم أفضل ما بلغته اللعبة من مستويات اللاعبين وحنكة المدربين وكفاءة الحكام وروعة التنظيم وجودة التغطية الإعلامية تتابع الجماهير بطولات القارات للأمم، وفيها نكهة ومذاق مرتبطان بالجغرافيا ومزاج الإنسان واللاعب في تلك البلدان. فنكهة الكرة الإفريقية مختلفة عن نظيراتها الأوروبية والآسيوية واللاتينية، والبطولات القارية للأندية متعة أخرى تزخر بنجوم العالم في فرق يُنتقى فيها اللاعبون لينضموا إلى نخبة مميزة يقودها أفضل عقول التدريب وأذكاها وعلى مستوى الدوري المحلي تتنافس الفرق بحسب إمكانياتها على تحقيق أهدافها. يتصدر البطولة للمشاركة القارية أو يسعى إلى تفادي النزول، ومن في وسط الترتيب يتحرر من كل الضغوطات ويحاول أن يحسن المركز. أحيانًا لا يلتزم بالروح الرياضية وينخرط في البحث عن موارد

غيـر شـرعية يجنيها اللاعبون بعلـم أو دون علم أو بتغاضٍ من إدارة النادي.

أمـر تطـرق إليه عدد مـن المتداخلين في شـؤون كرة القدم علـى مر السـنين، كشـفوا الفسـاد القديـم والحالي فـي انتظار الإفـراج عمّـا هو على أكثر وأنكى من ذلـك بكثير وعرضه في الإعـلام الخاص الذي بـدوره يرعاها عن طريق مسـالك عدة خصصنا لها حيزًا من الكتاب لتبيانها.

تاريخ كرة القدم مع العنف

نظمـت دولـة قطـر كأس العالم 2022، وشـهد لهـا العالم بحسن التنظيم واسـتقبال الرياضيين والمسؤولين والمرافقين والحـكام والصحفييـن والإعلاميين والشـخصيات الرياضية العالمية والجمهور الذي تحول إلى الدوحة وعاد منها بسـلام وأمـان بعـد أن تابـع الحـدث الرياضـي الضخم وقـد فاق كل التوقعات فـي جودة التنظيم ودقته محققـا متعة وتجربة مميزة لا تنسى.

الصورة السـاحرة المنقولـة من تكنلوجيـة الجيل الخامس للمعلومـات تقـدم مشـهدًا شـاملاً لما بلغتـه اللعبة مـن تطور مذهل، فلا يمكن بأي صورة من الصور أن تنسينا جذور اللعبة وأصولهـا ومنبتهـا وتطورها، حتـى نفهم الجوهـر وديناميكية تطورهـا وأهدافهـا وتأثيرهـا وارتداداتها الخطيـرة عند فقدان السـيطرة علـى عناصرها. فما الفائدة من نشـاط لا ينفع الناس

ويضـرب وحـدة الشـعوب وانسـجامها وتعايشـها وسـلمها الاجتماعي. ويعود به إلى زمن بدائية كرة القدم؟

الأصول القديمة لكرة القدم

أخبـرت كتـب التاريـخ التـي اهتمـت بالنشـاط البدني في العصـور القديمـة، الموثقـة فـي نقـوش ونحـوت صخريـة وحفريـات أركيولوجيـة، أن العالـم عـرف في أماكـن مختلفة وعصـور متفرقـة لعبة مارسـها القدماء فيها ما يشـبه كرة القدم اليوم تُركل بالرجل وتُرفع باليد، انتشـرت جدًا وألهبت شغف الناس في ذلك الزمان في الصين خلال القرن السابع، انتشرت لعبة سميت – كيماري- يتنافس الرجال في ضرب الكرة إلى الأعلى ومنعها من السـقوط أرضًا عرفتها شـعوب ماوري دي بولينيزيا (سـكان نيوزيلندا الأوائل) أسموها كيو را، مستوحاة من لعبة تعود إلى القرون الوسطى

كذلـك لعبـة بـازو كوالا أوهـوغ عند هنـود أمريـكا، ولعبة مارونغ روك عند الشعب الأبورجاني في أستراليا.

كرة القدم الحديثة

تعـود إلى العصور الوسـطى. أقيمـت مبارياتها على جانبي المنش، وقد تكون وصلت إلى إنجلترا خلال الغزو النورمندي فـي القـرن 16 أصبحت الكـرة الجلدية المنفوخـة هي الأكثر شـيوعًا في فرنسا عرفت قصور الملوك في إسكتلندا اللعبة في

نهاية القرن الخامس عشـر، ولـم تدم طويلًا، في 1657 مُنعت في بوستن.

فـي إيطاليا ظهرت في القرن الخامس عشـر من خلال لعبة الكالتشو الفلورانسـي، قريبة من لعبة عارباسوم الرومانية التي وضع قواعدها جيوباني باردي عام 1580 بـ 17 لاعبًا في كل فريق على ملعب مسـتطيل، وتدوم المبـاراة 50 دقيقة، يديرها حكم، وهي مزيج من كرة القدم الحديثة والركبي والمصارعة، انتشرت في القرن 18.

من القرن الخامس الى الثاني عشـر مارست الطبقة السفلى للمجتمع الأوروبي لعبة «السولة»، وفي عصر النهضة مارسها رجال الدين والنبلاء مع عامة الشعب.

فـي سـنة 1174 ذُكرت لعبة تسـمى «سـولة» أو «شـولة»، يتواجه فريقـان من رجال المدينة، ورجال الأرياف، ذُكرت أنّ مبارياـت أُقيمت بيـن المتزوجين ضد العزاب، أو بين سـكان القريـة الواحـدة أو الريفييـن ضـد البحـارة، مبـاراة خاليـة من القواعد يتقاذفون حزمة الحطب أو مثانة خنزير تُملأُ بالقش.

المنع الرسمي لا يوقف اللعبة

خلال عصور النهضة انتشـرت اللعبة على نطاق واسـع في منطقة بونتي دي الفرنسية وأهم مباراتين في السنة تُقامان على تلة باربانيو، وفي سـهل لاهوسـاي منعهـا فيليب الخامس عام 1319، وكذلـك فعـل شـارل الخامس عـام 1369 فـي نهاية

القرن الثامن عشر، غرق عدد من اللاعبين في برك من الماء في النورماندي وبريتاني وبيكاردي لذلك قررت السلطة الفرنسية عام 1773 إيقاف اللعبة ومنعها واقترح الدوق روهان شابوت تخصيص ثلاثين جنيها إضافية من جوائز الفوز لتشييع ضحايا المباريات تراجعت اللعبة تدريجيًا حتى القرن التاسع عشر، حيث مُنعت في بون تيفي في 5 جانفي 1819، ورغم ذلك تواصلت في الخفاء وسجلت سقوط أعداد كبيرة من الجرحى، ليعاد منعها من جديد مرات عديدة في 1848، و1849، و1857 كتب أميل سوفستر عام 1835 في مؤلف له عن صراع عنيف دار في مدينة موياك خلال مباراة انتقم خلالها لاعب من آخر قتل والده في مباراة سابقة عام 1810 ومنع حاكم موربيان اللعبة نهائيًا عام 1857، لكن تواصلت في الخفاء، واعتلى مراقبو الأبراج للتحذير ودق الأجراس إذا وصلت الشرطة. ومنع قانون الطريق السريعة البريطاني سنة 1835 ممارسة اللعبة على الطريق.

تطور اللعبة

في 1848 ظهرت كرة القدم الحالية بقواعد كامبريدج في إنجلترا، وأقيمت أول دورة عام 1863 وحدت القوانين في 1877 ليتأسس الاتحاد الدولي لكرة القدم في 21 ماي 1904 في باريس ومقره زيورخ بسويسرا واستضافت الأورغواي من 13 الى 30 جويلية 1930 أول كأس عالم

شـارك فيهـا 13 منتخبا وأحـرز المنتخب المضيـف أول لقب بفوزه فـي النهائي على المنتخـب الأرجنتيني 4-2 وواصلت اللعبـة تطورها وانتشـارها ورافقت ذلك مشـاهد عنف تنفجر أحيانًـا هنا وهناك تحيلنـا إلى أصول اللعبة ونشـأتها المترافقة مع العنف والفوضى.

علاقة كرة القدم التونسية بالسولة

الملاعـب التونسـية قد تكـون الأقرب إلى اللعبـة الأم لعبة السـولة أكثر من كرة القدم الحديثـة، بالنظر إلى حالة الفوضى العارمة والفساد المستشري ويتجلى ذلك من خلال ما مرت به الجامعة التونسـية لكرة القدم، من انهيار شبه كلّي بعد محاكمة رئيسـها وديع الجري، ثم وضع اليد من قبل الفيفا وتعيين هيئة تسـييريه ترأسـها كمـال إيدير انتهـت مهامها بانتخـاب مكتب جامعي جديد في فيفـري 2025، يواصل التخبط، ولا يحظى بثقـة قطـاع كبيـر من الجمهـور الرياضـي. فلا ينجـو فريق من الطعـن والتجريـح في التحكيـم وإدارته والصراعـات العبثية، ومـن حملات الإعلام الرياضي، الذي يقتات من موائد رجال الأعمال والسماسرة وأصحاب المصالح الضيقة.

2. كرة القدم تستبطن العنف التاريخي

لمعرفـة أصول العنـف كمنتوج مرتبـط برياضة كـرة القدم يكـون من الأجدى البحث في جذورها ومنبتها حتى نسـتطيع

أن نقترب أكثر ما يمكن من فهم شامل عميق ومنطقي في البحث عن الأسباب الموضوعية لهذا الغول الذي استعصى على كل المحاولات للحد منه فيطل على المدرجات والملاعب ومحيط المباراة بين الفينة والفينة فيترك أضرار فادحة في العباد والعتاد والسلم الاجتماعي والوحدة الوطنية والمبحث التاريخي في أصول لعبة كرة القدم يستوجب تصفح السجلات القديمة لشعوب متفرقة على خارطة الكرة الأرضية من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب، شمالها وجنوبها، شعوب مختلفة في الثقافة والدين والعرق، لها علاقات فيما بينها أحيانًا، ولا تعلم بوجود الآخر أحيانا لكن جميعها مارسوا اللعبة بتسميات متعددة، مع تفاصيل مختلفة عادة ما تكون مرتبطة بخصوصيات جغرافية ومناخية وثقافية.

اللعبة حازت على شغف كبير من هذه الشعوب التي مارستها وحظيت بشعبية جماهيرية جارفة فشاركت في منافساتها كل فئات المجتمع رجالا ونساء كبارا وصغارا، الجميع يتساوى في الركض وراء الكرة فتسقط الفوارق الاجتماعية والطبقية، واظهار التفوق هو الغاية والهدف بالنسبة إلى كل من يشارك رغم ما عرفت به اللعبة من عنف ارتبط بطبيعتها الأولى وقبل النظر في نشأة كرة القدم وأصولها ومنبتها وتطورها، سنتطرق إلى معطى نظري يساعد في التفكيك والفهم.

المنافسة

لفهـم طبيعـة المنافسـة الرياضية يجب أن نراجـع المعاجم للتدقيق في المصطلحات المفاتيح، وحسب ما ورد في قاموس نور التَنَافُسُ: نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التشبه بالعظماء واللحاق بهم – المعجم الوسيط ج 3 ص 910

المُنَافَسَـةُ والتَنَافُسُ: الرغبة في الشيء والانفراد به وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه – تاج العروس ج 9 ص 19

تَنَافُسٌ: تسـابق علـى النفـوذ والسـيطرة، تنافـس دولتين، تنافـس أحـزاب ما تبذلـه الكائنـات الحية من جهـد تنازعًا في البقاء وطمعا في السـيادة – المنجد في اللغة العربية المعاصرة ص 113

التنافس في الإصطلاح

المسـابقة إلـى الشـيء وكراهـة أخذ غيـرك إيـاه، وهو أول درجات الحسد – القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ص 35

وتحـدث العلامة ابن خلـدون في المقدمة مؤكـدا على أن الملـك والدولـة إنما يحصـلان بالقبيلـة والعصبيـة والمغالبة والممانعة لما فيها من النعرة وأن الملك منصب شـرف ملذوذ يشـتمل علـى جميـع الخيـرات الدنيويـة والشـهوات البدنيـة والملـذات النفسـانية فيقع فيه التنافـس غالبًا، وقلّ أن يسـلمه أحـد لصاحبـه إلا إذا غلب عليـه، فتقع المنازعـة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلا بالعصبية.

التنافس في اللغة

كل شيء له خطر وقدر فهو نفيس ومنفوس أمر منفوس فيه مرغوب ونقول نفست عليّ بخير قليل أي حسدت وتنافسنا ذلك الأمر وتنافسنا فيه تحاسدنا وتسابقنا ونافست في الشيء منافسة، ونفاسًا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم وتنافسوا فيه أي رغبوا :

الغبطة: هي تمني الإنسان أن يكون له مثل الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره

المنافسة: إرادة سبقه على الغير فيما هو خير لهما

تنافس: التسابق والتزاحم على الفوز أو الكسب

المنافسة الرياضية

هي التسابق مع شخص أو مجموعة فيبذل الجهد للتفوق مستعينًا بقدراته البدنية والمهارية والمعرفية دون إلحاق الضرر بالمنافس فيحق لأحد المنافسين فرديًا أو جماعيًا كالفرق على تحقيق الهدف والتغلب على منافسه، فيفوز رياضي على آخر هو الخاسر، فينال الفائز المكافأة على حساب المهزوم، وينال الفائز بالمركز الأول للألعاب الأولمبية الميدالية الذهبية ويتوّج بالصعود على الدرج الأول للمنصة وصاحب المركز الثاني يحصل على الميدالية الفضية والثالث يمنح الميدالية البرونزية ويضاف للفائز الأول رفع علم بلاده وعزف السلام الوطني

فـي حضـرة الحشـود والرياضييـن والضيوف والشـخصيات والرسميين، وهي أعلى مراتب المجد الرياضي

فتكـون نتائـج المنافسـة الرياضيـة توزيعًـا متسـاويًا فـي المكافـآت والتقديـر والوجاهـة وبدءا مـن المرتبـة الرابعة لا يحصل المنافس على شيء ويُعد خاسرًا عند قطاعات عريضة مـن الجمهور الرياضي حتـى وإن حقق أرقامًـا وطنية محترمة فلـن تكون في قيمة أصحـاب المراكز الثلاثـة الأولى رغم أن المنظّرين والباحثين والصحفيين والإعلاميين والكتاب والنقاد فـي أغلب الأحيان حاولوا تثمين بقية الإنجازات ومنحها قدرًا في سـلم الامتياز الرياضي لكن واقيا هم يسـلطون الضوء أكثر على الجهد البطولي المبـذول للفائز فريقًا كان أو فردًا، يمجد إنجازه وتروى قصة نجاحه بالتفاصيل الدقيقة كقدوة يقدمونها للأجيـال القادمـة من الرياضييـن فيضعون نصـب أعينهم هذا المثـال وهـو الجانب المشـرق للقصـة بنهايتها السـعيدة لكنّ هناك طرفًا آخر من القصة الإخبارية أسـقطتها النشـرة الحزينة لذلـك الرياضـي أو الرياضية أو الفريق الـذي وُصف أنه انهزم فتتجاهلـه وسـائل الإعلام ومراكز الاهتمـام، فيصاب بعضهم بخيبـة الأمل وينزوي مكسـور الخاطر وقـد لا يظهر بعد ذلك هذا الضغط النفسي من أخطر ما يهدد الرياضي إذا غاب التأطير السـليم قوة الشـخصية والتأطير السـليم للطاقم الفني والطبي والإداري فبعـض الرياضيين يبذلون تضحيات جسـام لتحقيق

الأحلام بمعية كل العائلة فيكون أمام مسؤوليات ثقيلة، وعليه ألا يخذل من وثق به، وبدرجة أهم ألا يخذل نفسه في تحقيق وضع مادي أفضل وحظوة رياضية بالالتحاق بالمنتخب والاحتراف بالخارج والشهرة والمجد، كل تلك الأفكار التي تدور في خلده قد تفقده السيطرة فيندفع بتشنج وتوتر وهو ما يجعله ينقاد إلى الفعل ورد الفعل بعنف واستفزاز وعدائية تنزلق بمناخ كامل للمنافسة إلى ما لا يُحمد عقباه إذا ما ساء التعامل مع الموقف في قطاع آخر من المتداخلين في اللعبة كالأمن والجمهور والحكام والمسيرين في الأندية وغيرهم وعندما تغيب الإحاطة النفسية عالية المستوى في مواعيد معينة يكون منسوب الخطر كبيرًا فيرتفع عند اللاعبين عامل القلق والخوف والتوتر مستبطنا مآلات الرياضيين والفرق التي خسرت المواجهة المصيرية في اعتقاده وظنه فتظهر دفاعات نفسية تحثه على العدوانية والعدائية للمنافس وقتها تغيب عن ذهنه الخبرات، خاصة إذا سارت مجريات المواجهة عكس مصلحته، فيغرق في الأفكار السلبية، مما يزيد من وطأة تسارع انتشار المواجهات السلبية التي تتداخل مع أفعال وردود أفعال الزملاء والمنافسين والحكام والجمهور ورجال الأمن ومن هنا ترتفع درجات الاحتقان والهيجان لتتجاوز حدود المنافسة الرياضية السليمة وتذهب إلى مناح خطيرة ينفرط فيها العقد ويشتعل فتيل العنف على الميدانَ وفي المدرجات وحول

الملعب في الأحياء والمدن إذا لم تضبط الأمور بالحكمة وحسن التعامل.

3. العنف ليس أصيلا في طبع البشر

وصف المفكر الإنجليزي توماس هوبز العنف بأنه فطري في طبع البشر وأن الوجود حرب الجميع ضد الجميع وقد تزامن ظهور الإنسان العاقل منذ 200 ألف سنة مع ظهور العنف بين البشر شاهده على ذلك بقايا هياكل الجماجم البشرية التي ظهرت عليها آثار العنف وفحصت دراسات في جامعات برشلونة وأوسلو وتوبنجين 3539 مجموعة من بقايا الهياكل العظمية من الشرق الأوسط لإعادة بناء الأنماط المبكرة للعنف البشري.

وأثبتت أنه في الفترة ما بين 12 ألف قبل الميلاد إلى أربعة آلاف ق م قد قضى أفراد حتفهم جرّاء إصابات متعلقة بعنف البشر على البشر وهذه الفترة عرفت ظهور الزراعة والتخلي عن البداوة كنمط للعيش وأنشئت المدينة والدولة البدائية، وقد ظهر العنف في هذه الفترات من تاريخ الإنسان، التي تميزت بزيادة الكثافة السكانية، واتساع الفوارق الاجتماعية، والتنافس على الموارد، ما أفرز صراعات متكررة.

يقول الكاتب أحمد منصور «أغلب الظن أن العنف أصبح ضرورة في العصور النحاسية، في الفترة من 4500 ق م إلى 3300 ق م بالكشف عن جماجم مصابة بكسور وجروح ناجمة

عن أدوات حادة مثل الأسلحة» بعد ذلك عرف العنف تراجعًا في ظـل الحكـم المركزي، كالحكـم الفرعونـي. فيقول عالم الأنثروبولوجيا في جامعة يوتا، براين كودينغ، « إن البحث يعزز المعرفـة بالدوافع التاريخية للصراع، مما قد يسـاعد على فهم الحوافز المستقبلية وراء العنف، فظروف مثل تغيّر المناخ وندرة الموارد تنطبق اليوم كما كانت منذ زمن بعيد، ومن خلال النظر إلى الماضي، قد يكون البشـر أكثر استعدادًا للمستقبل» وشهد العنـف تراجعًا فـي منتصف العصر البرونـزي من 3300 ق م إلـى 1500 ق م، بظهور الحكومات المركزية وتطور الأنظمة القانونيـة. إلى جانب سـبب آخر خفف مـن درجة العنف وهو ظهور شـبكات التجارة التي توسـعت تدريجيًا، وعزّز التعاون الاقتصادي والثقافي والسلم بين المدن ثم عادت وتيرة العنف للارتفـاع فـي العصـر الحديـدي مـن 1500 ق م الميـلاد إلى 400 ق م، لأسـباب مختلفة كعدم الاستقرار الداخلي والغزو الأجنبـي فـكان التنافس شرسًـا وضاريًا متكررًا أسـقط الكثير مـن الضحايـا بعد ذلـك عرف العنـف تراجعًا في ظـل الحكم المركزي، كالحكم الفرعوني. فيقول عالم الأنثروبولوجيا في جامعة يوتا، براين كودينغ، « إن البحث يعزز المعرفة بالدوافع التاريخية للصراع، مما قد يساعد على فهم الحوافز المستقبلية وراء العنـف، فظروف مثـل تغيّر المناخ ونـدرة الموارد تنطبق اليوم كما كانت منذ زمن بعيد، ومن خلال النظر إلى الماضي،

قـد يكـون البشـر أكثر اسـتعدادًا للمسـتقبل» وورد في رسـالة لليونسـكو تحت عنوان جذور العنف، صـادرة في 11 فيفري 2020 بقلم ماريلان باتو ماتيس، أن «العنف ليس مسـجلًا في جينات البشـر، وقد تأكد علميًا أن الإنسان قبل التاريخ لم يكن وحشـيًا ومحاربًا كما صُوّر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر».

وأكـدت الأبحاث الأثريـة أن ظهور العنـف الجماعي كان فعليًـا مـع اسـتقرار المجتمعات وتحولهـا من اقتصـاد النهب إلـى اقتصـاد الإنتـاج وتؤكـد الكاتبـة أنّ العصـر الحجري لم يُعـرف بالعنف واسـتنتجت أنّ قلّة السـكان، ووفـرة الأراضي الغنيـة، وتنوع المـوارد، وغياب مفهوم الملكيـة، وقيام النظام الاجتماعي المبني على التسـاوي بعيدا عن التسلسـل الهرمي حاصر العنف أكثـر فأكثر فكانت تلـك المجموعات الصغيرة التي تعيش على الصيد تتعاون فيما بينها للبقاء على قيد الحياة، إلـى جانب مبـدأ الانسـجام كأسـاس للتكاثر وتجديد النسـل وانتهـت الباحثـة إلـى أن الوحشـية المزعومـة عند البشـر قبل التاريخ لا تعدو أن تكون أسـطورة ظهـرت في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لتعزيز الخطاب حول التقدم ودعم مفهوم الحضارة.

فترجـع ظهور العنـف الجماعي إلى اسـتقرار المجتمعات فـي نهايـة العصـر الحجـري القديـم في الشـرق الأوسـط أي

حوالـي 13 ألف سـنة قبل عصرنـا، وعلى جداريـات المأوى الصخـري في شـبه الجزيـرة الإيبيرية، في تاريخ ما بين عشـرة آلاف و6500 سـنة قبـل عصرنا، ظهرت مشـاهد لمواجهات مسـلحة بيـن مجموعـات. ومثـل هـذه الجداريـات لـم تكن موجـودة في فنون العصر الحجري القديم. وأكدت الباحثة أن تغيير النمط الاقتصادي، كما أسمته بالمرور من الافتراس إلى الإنتاج، سـرعان ما أفرز تغيـرًا جذريًا في الهياكل الاجتماعية، ولعـب دورًا رئيسـيًا في تطـور الصراعات واسـتغلال الموارد البرية وإنتاج الأغذية، ممّا سـمح بتحقيـق فائض غذائي، أدى إلـى تنامي مفهـوم الملكيـة وعدم المسـاواة. ونتيجـة لذلك، أثارت المواد الغذائية المخزنة إرادة الاسـتحواذ، ما تسبب في إشـعال الصراعات بين المجموعات على هذه الثروات. وهو ما اسـتوجب ظهور القائـد المحارب خـلال العصر الحجري الحديـث، كما يبرز في الفـن الصخري والنحت فـي المقابر، هذا الوضع خلق هرما اجتماعيا دقيقا في المجتمعات الزراعية الرعويـة، فظهـور محاربين يتبعهـم عبيد للأشـغال الفلاحية، ونخبة تدافع عن مصالحها وتتنافس وتتقاتل داخل المجموعة الواحـدة مـن أجل السـلطة وتضاعفـت النزاعات فـي العصر البرونزي، بداية من 3000 سنة قبل عصرنا، وهو العصر الذي ظهرت فيه الأسـلحة الحربيـة المعدنية، والحـروب المتكررة والمنظمة.

وتنتهي الباحثة إلى استنتاج يرجح أن حالة العنف ليست مسجّلة في جينات الإنسان، بل تعود إلى أسباب تاريخية واجتماعية، لتُبطل نظرية «العنف الأول الأصلي» الذي اعتبرته خرافة لا أساس لها من الصحة وأن الحرب من إنتاج المجتمعات والثقافات، وليست من فطرة الإنسان في شيء.

4. أنطولوجيا الصراع - أنا لا أكون إلا ضدك

تحدث كارل ماركس في القرن التاسع عشر عن الصراع الطبقي بين البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج، والبروليتاريا طبقة العمال، وأرجع التحولات الاجتماعية إلى قاعدة الصراع داخل مجتمع غير متجانس، محكوم بعلاقات قوى متفاوتة تنتج المنافسة على السيطرة أو السلطة والثروة والنفوذ ويستزيدون منها لا يكتفون حسب استطاعة كل فئة وما يتيسر لها من أدوات ووسائل وفرص، فيصبح الصراع حتميًا نتيجة تضارب المصالح والأهداف، وتظهر نتائجه في التغيرات الاجتماعية وفي مطلع القرن العشرين أعاد ماكس فيبر صياغة نظرية الصراع من منظور غير اقتصادي، وأضاف عناصر أخرى رآها لا تقل أهمية، مثل الدين والسلطة والهوية والثقافة وفي خمسينات القرن الماضي طبّق رالف دارندورف النظرية على المؤسسات والتنظيمات الحديثة، وأبقى على مضمونها المرتبط بأسباب الصراع، في التفاوت الطبقي والعنصري، والتمييز، والصراعات السياسية والعرقية وفي ثمانينات

القـرن الماضي، تطـورت النظريـة أكثر، وانتقلـت إلى تحليل قضايـا النـوع الاجتماعـي، والعرقـي، والبيئـي، والإعلامـي، وتداخلت مع نظريات ما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد حـاول المجهـود الإنسـاني المعرفـي أن يتطرق إلـى موضوع الصـراع فـي المجتمع من عـدة محاور تتقاطـع وتتداخل، من منطلق واقع يعيشـه الإنسـان، لا يتوفر فيه بشكل واضح عامل الانسـجام فيبلغ التميّز والاختلاف ذروته في الشغب والعنف والنزاع المسـلح فالمجتمعات بالضرورة تستبطن حالة التوتر والاختـلاف والاحتكاك والانقسـام والهيمنـة والمقاومة. فلا وجـود للانسـجام الخالص، واعتبـر الصراع أسـاس أي تقدم وتطور وتتبلور هوية الجماعة في مواجهة الآخر، ويدعم كيان « نحن » من خلال وجود « هم »، أي الهوية الجماعية التي تُبنى على الاختلاف، والتصـدي للآخر «العدو» الذي يُهدد الكيان والوجـود ما يُبرّر اسـتمرار الصـراع وفرض السـلطة والهيمنة لحماية الذات.

5. أنطولوجيا الصراع في كرة القدم

من منا لا يُحرّكه لقاء كرة قدم في «الكلاسـيكو الإسـباني» بيـن ريـال مدريد وبرشـلونة؟ بذلـك الزخم الإعلامـي الكبير الذي يسـبق الحدث بأيام، وينتظر الجمهور في العالم المباراة متابعا في الأثناء كل الأخبار والتعليقات وأهمية المواجهة بين العملاقين ليست فقط لما يضمانه من لاعبين موهوبين ونجوم

متألقيـن، بـل لأن هذا الكلاسـيكو مرتبط بصـراع تاريخي بين الناديين، وقبل ذلك العاصمة المركزية مدريد ومقاطعة كتالونيا التـي تتـوق للانفصـال أو الحكـم الذاتـي، ثقافتـان مختلفتان ومتنافرتـان فـي تفاصيل كثيرة ثقافية وسياسـية ترتبـط بالهوية والاختـلاف والوجود مـن هذا المنطلـق تزدهر فكـرة أن كرة القدم ليسـت مجرد لعبة، بل هي أعمق من ذلك. فهي تلامس الحس الإنساني بالانتماء والهوية فيسجل الصراع حضورا قويا في ميادين كرة القدم، فضاءات ملائمة جدًا لتطبيقات تفاصيلها النظرية والواقعية، ولا يوجد ما هو أنسب من ذلك على الإطلاق فيكون الصـراع والعنف نتيجة طبيعية لفكـرة متجذرة وأصيلة فـي الفـرد والمجتمـع فمدرجـات ملاعب كـرة القدم سـاحة ملائمـة ومهيأة للصراع، بما أنها تجمع في مكان واحد هويات مختلفـة ومتناقضة تعبّر عن نفسـها بالتصدي للآخر من خلال عناوين شـتى بعضها قـد يتصل بجهوية أو أثنيـة أو عرقية وأي عامل تمايز امتدادًا لصراعات اجتماعية واقتصادية وثقافية فلا تقتصـر المدرجات على التشـجيع والمناصرة للفرق من أجل الفوز والاسـتمتاع بالمباراة، بل هي فرصـة لتأكيد الانتماء من خلال الصراع ضد الآخر هي بنية اجتماعية تقوم على التنافس الحـاد، خلفيتها التمرد على الآخر في منافسـة حـادة صورتها الخلفية شـاحبة بالفقـر والتهميش والبطالـة والتفاوت الطبقي وتـردي المرفق العـام والخدمات، وغلاء المعيشـة، وضعف

فـرص الحياة الكريمة هكذا يتميز أنصار الفرق ذات الجماهير الكبيرة، التي تُطلق على نفسـها «فرق شـعبية»، أو يطلق عليها الإعلام هـذا الوصف، فتكون المباراة مناسـبة لإبراز الغضب من كل ذلـك، ويصبح التصدي للآخر واجبًـا مرتبطًا بالكرامة والشـرف والهوية والانتمـاء الصورة المشـهدية الدرامية هي آخـر مـا يبقـى في الذاكـرة مـن المبـاراة، حين يتصـادم رجال الأمن مع جماهير الأحياء الفقيرة المهمشة، بعد أن استهلكت أصواتها وألحانها وأغانيها في سبّ الجميع وشتمهم، كوسيلة للتعبير عن الذات بإلغاء الآخر، وتجسـيدًا لعقيدة «أنا لا أكون إلا ضدك».

الفصل الثاني:

الإعلام الرياضي محرك الأزمة

1. المسكوت عنه في الرياضة التونسية

وقد بلغ الموسم الرياضي 2024-2025 ما لا يخطر على بال في التردي والتدني والانحطاط فلابد لنا أن نشهد على هذا العصر ونوثّق ذاك الواقع البائس حتى تتعلم الأجيال القادمة أن الرياضة التونسية رغم ما حققت من إنجازات على مر العقود الماضية فإنها أضاعت وفرطت في الكثير من الفرص والإمكانيات في أن تكون أفضل بمراحل دافعنا الغيرة على هذا البلد والحب والوفاء لمن ضحوا لأجله من الأجداد والآباء لبناء دولة يطيب فيها العيش للأبناء والأحفاد لكن الحلم لم يتحقق في هذا الجيل، فكان لابد أن يعترف بالفشل، وندون هذه السقطة المدوية، ثم نضعها بين يدي الأجيال حتى تتعلم الدرس وتصحح الأخطاء الفادحة نتيجة الأنانية والجشع والحالة النفسية المرضية الجماعية التي أصابت هذا الجيل. فأفسد كل شيء ومنها الرياضة مجال بحثنا وتوثيقنا للفساد الذي ينخرها وجعل من فضاءاتها وخاصة مباريات كرة القدم مجالا مهيئا للانفجار الممكن في كل ثانية فالمدرجات في حركتها وطبيعة العلاقات داخلها ونوعية الحضور فيها والحالة

الذهنيـة والعصبيـة والنفسـية المشـحونة بصراعـات المنابـر الإعلاميـة المتشـنجة والمتوتـرة التي تخرج علـى أخلاقيات المهنة ونوعية الشـخصيات التي ينتقيها أصحاب البرامج بدقة للإثارة وصنع البووز، كذلك المواضيع وطريقة الطرح البعيدة عن الحياد والنزاهة والصراع المفضوح على الاِشهار والرعاية مـن رجال الأعمال والتزلف والتملـق خلال البرامج الرياضية وكل هـذه التفاصيل وغيرهـا لا يمكن إلا أن ترفع من درجات الشـحن والتوتـر بيـن الجماهير الرياضيـة فيما بينهـا من جهة وصلب مجموعات الجمهور الواحد من جهة ثانية.

هـذه الشـخصيات المتصارعـة والحاضـرة فـي البرامـج الرياضيـة تصبح صانعة للـرأي العام الرياضـي وقائدة له رغم انعدام المسؤولية والمعرفة بأبسط القيم.

فتكـون الجماهير جاهزة قبل المباريـات للعنف والفوضى المعبّـر عنهـا فـي الفضـاءات الافتراضيـة ووسـائل التواصل الاجتماعـي ويـوم المبـاراة داخـل المدرجـات مـع عوامـل مسـاعدة تنطلق المعركة الشرسة والفوضى العارمة وسنتطرق لاحقا إلـى التفاصيل والعلاقات الظاهرة والخفية التي تتفاعل وتتبلور في انتظار ساعة الصفر اللعينة.

2. البرامج الرياضية بألوان الرعاة.. ومن يدفع يُراعَ

عندمـا يشـتد الصراع بيـن اللاعبيـن على أرضيـة الميدان، وتتصاعـد رائحـة العـرق الآسـن من شـدة الانفعال النفسـي،

وتصرخ الحشـود بصوت واحد مرعب تطالب بالفوز وسحق المنافـس في دربي أو كلاسـيكو سـيصبح المـزاج خاصا جدا ويدخـل أبعـادا ليسـت معتـادة وفور إطـلاق صافـرة الحكم لضربـة بداية المبـاراة يزيد الانفعال ويتصاعد التشـنج والتوتر تدريجيـا مع كل صافـرة مع وضد بعض اللاعبيـن لا يتوقفون عـن الاحتجـاج والجـدال مـع الحكـم وهـم الأكثـر عرضـة للاسـتفزاز يسـهل سـحبُهم الى دائـرة الأخطـاء والمخالفات وحتـى الجمهـور المنافـس يترصدهم ويخصـص لهم بعض الأغاني وصيحات توقع بهم في الأخطاء والمخالفات وتنتهي بالإقصاء، وهذه الفئة من اللاعبين هم من يطلقون عادة الشرارة الأولى للمواجهات والاشتباكات والمعارك.

فتشهد المباريات التي تصنيفها الأمني – ذات الخطر العالي – أحداثا عنيفة وشـغبا هو الحلقة الأخيرة من تراكمات سابقة عن يوم المباراة.

ولعـل أشـدها تأثيراً وشـحناً البرامج الرياضيـة التي تتخلل أيام الأسبوع وتعمل على صناعة رأي انفعالي متشنج.

يتناطـح الضيـوف والكرونيكـورات والمذيـع بتعصـب وانغـلاق تـام وكل اللألفـاظ مسـموح بهـا فـي سـبيل الدفاع عـن الفريق الذي يناصـر ولا مكان للموضوعيـة والتوازن في الدفاع عن راية الفريق والانتماء فيتفنن الحضور في الاستفزاز والسـخرية والتكذيـب واسـتعمل الإيحـاء الخبيـث لا يحترم

المشـاهد المتلقـي كبيـرا أو صغيـرا أبا أو أخـا أو أمـا أو أختا فتستعمل أبشع الأوصاف التي تجود بها قريحة تعيسة من بذاءة وسـخافة لزمرة من الباحثين عن الشـهرة بعضهـم لا تعلم من أيـن جاؤوا ليس لديهم أدني المقومـات كي توجّه لهم الدعوة لبرامـج تبـث على قنـوات تلفزيونية أو إذاعيـة المفروض أنها تلتزم بالحد الأدنى من مسـتوى المـادة الإعلامية التي تقدمها للجمهـور كرونيـكارات ومعلقون ومحللون قـد تكون الميزة اللافتة لديهم هي الوقاحة والفضاضة وفساد اللسان والمنطق، سـبب اختيارهم كضيوف قارين في برامج تتعمد الإسـاءة الى الـذوق العام هـو البحث عن الاثارة وجلب المشـاهدة العالية بـأي ثمن علـى منصـات التواصـل الاجتماعـي عندمـا تُقطّع الفيديوهات وتُوزع على أوسع نطاق.

بعد «الثـورة» أخذت البرامج الرياضيـة التلفزية واللإذاعية منحى جديـدا فرياح الحرية هبت على القطاع الإعلامي فبات مسـموحا به مـا كان ممنوعـا ومحظورا ولئن حـاول اللإعلام العمومي الحفاظ على المسافة من كل الأندية والالتزام أكثر ما يمكن بالموضوعية والحياد رغم الضغوطات ومحاولة تدخل بعض الأحزاب والسياسـيين في عمله بمـا تقتضي مصالحهم لكنـه صمـد فـي مواقعـه وناضل مـن اجـل البقاء علـى حياده وموضوعيتـه، رغـم كل الاتهامـات التي وجهت إليـه والتنمر على موظفيه والتلويح ببيع المؤسسة الوطنية للتلفزة التونسية

بعد الثورة ضاق الخناق على المؤسسة العمومية، واتهمت صفحات على منصات التواصل الاجتماعي برامجها بالرتابة وقلة الاجتهاد، وروّجت بعض الأطراف المنتمية لجهات سياسية مقارنات فاسدة بين المرفق العام المستهدف ومؤسسات الإعلام الخاص لضرب مصداقيته لكنه بقي صامدا وحافظ على استقلالية خطه وسمو رسالته في ذات الوقت تحكمت الأحزاب السياسية وأذرعها في الإعلام الخاص واستدعت رجال الأعمال للانضمام إلى صفوفها ودعم وسائل إعلامها وحشدت جيوشها من الصحفيين تدفع لهم ويتبعون التعليمات والتوجيهات فأصبح تناول أي موضوع أو قضية رياضية يخضع لخلفية أيديولوجية وجب الدفاع عنها حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة، والدفع بلا شك مجز ومنتظم لفترات طويلة تولى سياسيون رئاسة الأندية الرياضيةً ومارسوا السياسة من خلالها يبحثون عن الشهرة والوجاهة والجماهيرية ويستفيدون منها كمخزون انتخابي عندما تقدموا لتحقيق طموحاتهم السياسية في انتخابات أو وظائف أو مناصب سامية في الدولة هذه الفئة من السياسيين شوّهت الأجواء الرياضية وعكرت صفو الرياضيين وعاقبتهم بالإبعاد والإقصاء والاحتقار والتجاهل. فروجوا عنهم الشائعات وشهروا بهم ونعتوهم بالجهل والسذاجة وعدم الكفاءة إذا حاولوا الاقتراب من دوائر القرار الرياضي في جامعة كرة

القدم التي وضعت شـرط المسـتوى العلمي الذي لا يجب أن يقل عن سـنتين في الجامعة (التعليم العالي) من أجل الترشح ضمن قائمة مكتب جامعي.

تلاحقـت الأزمـات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة في البـلاد، وتراجـع حضور الأحزاب السياسـية في المشـهد الإعلامـي، ولصعوبـات الأوضاع في تسـيير شـؤونها وإدارة إنتاجها وخـلاص رواتب موظفيها وقعت بعض المؤسسـات الإعلاميـة الخاصة فـي فخ المال الفاسـد المشـروط فقدمت التنـازلات وانخرطـت فـي لعبـة المشـاهدة وتحقيـق أعلـى النسب.

وسرعان ما انفجرت الفضائح المدوية بأن دُعي إلى البرامج الرياضية من هب ودب، وبعناية كبيرة تم انتقاء كوارث سُلطت على الشعب التونسي الذي بدوره يتحمل جزءا من المسؤولية، وكما خُطط له ارتفعت نسـب المشـاهدة وقُدمت أطباق ملونة مـن البـذاءة والباطـل والافتراء بعـض الكرونيكـرات فاقدون لـكل المقومات المعرفية والأخلاقيـة يتحدثون إلى الجمهور الرياضـي بمنطقهم الأعـوج والمتعصب وشـئنا أو أبينا أصبح صنّـاع الرأي يتصـدرون المنابر الرياضية أسـبوعيا ومن خلال تـوك شـو فاقد لـكل مقومـات المهنـة الصحفيـة والأخلاقية. TALK SHOW يدير المقدم الحوار بين كرونيكرات من الأندية "الأكبر" في البطولة التونسية يتبادلون بذيء الكلام على مرأى

ومسمع كل التونسيين. يُجرّحون في جميع الذين مروا من كرة القدم التونسية إلا ما رحم ربي.

فترتفع الأصوات والاتهامات، ويتسرب الكلام البذيء أحياناً أو بعض الكلمات النابية في غمرة الصياح والكلام الجماعي، يتلذذ المقدم بما يحدث متظاهراً بالحزم والصرامة لإتمام الأدوار واكتمال المسرحية الحقيرة.

موسم 2024 / 2025 خلافا عن المواسم السابقة عرفت البطولة التونسية عددًا مهولًا من الاحترازات والاعتراضات، استلزم حضور النقاش القانوني رجال المحاماة الذين رافعوا عن ملفاتهم ونواديهم في المنابر الإعلامية واستعملوا كل أدوات الدفاع ويندمجون أحيانا في فورة النقاش المحموم فيرفعون عقيرتهم بالصياح والتكذيب والتصحيح، بعض المعارك والقضايا تضاف إذا توترت الأمور أكثر من اللازم.

الشحن على أشده والاستهزاء والاصطفاف أسلوب يتوخاه المحاورون وضيوف المنبر الإعلامي.

وكما ذكرنا سابقا أن الضائقة المالية للقنوات الخاصة عطلت الإنتاج والعمل إلى حد العجز عن دفع أجور عمالها ورواتبهم، فتخلت عن الكثير منهم بسبب ودون سبب وارتمت في أحضان الرعاة ومن يدفع.

كثر الهمز واللمز حول صاحب مؤسسة اقتصادية رئيس لأحد الأندية الكبرى وأن هذا النادي يحظى بمكانة خاصة

فيحرص على اختيار الأفضل بنفسه كي يحضر المنبر مدفوع الأجر ليحاجج ويدافع على راية النادي، ويُفسح الفرصة كاملة للدفاع وإلّا ضاعت الرعاية وفشلت الصفقة وحلت الكارثة على البرنامج وصاحبه والقناة كافة أحد المعدين والمقدمين لبرنامج رياضي رد على إعلامي آخر لينفي تدخل راعي البرنامج في الخط التحريري تتعمد الحوارات في البرامج الرياضية تجييش الأجواء وشحنها للحصول على تفاعلات لا يهم نوعها على فيديوهات منصات التواصل الاجتماعي. وتشتعل حرب من خلال برنامج رياضي لا علاقة له بأخلاقيات مهنة الصحافة والإعلام.

تستدرج الجماهير الرياضية المتعصبة إلى التطورات في ساحة المعركة الإعلامية، ويوم المباراة في الملاعب تكون كما القنبلة الجاهزة للإنفجار بالعنف والشغب والفوضى التي زادت في السنوات الأخيرة في غياب ناجع للهياكل الرياضية، ولعل أهمها الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي والبصري «الهايكا» ودورها التعديلي المفترض ومحاولاتها المتعثرة قبل أن تُحال على الحياد القصري.

3. معركة ضارية على الرعاية والإشهار

خرجت المعركة والصراع بين أصحاب البرامج الرياضية على من يحظى بالرضى وينال ود رجال الأعمال من السر إلى العلن، وتجاوزت أحيانا حدود اللياقة والذوق والضوابط

المهنيـة، فضربت عرض الحائط بـكل القيم والمعايير وبلغت غايـة فـي الانحطـاط والاسـفاف فلمـس القاع بعـض معدي ومقدمـي البرامـج الرياضية الذين خرجوا بوجه مكشـوف في أحط صورة للتملق والتمسـح على أعتاب شخصيات رياضية ورؤساء أندية ومسؤولين لتحقيق رضى وقبول من يملك بيضة الديـك الثمينة ويمكن أن تشـتعل المعركة المعلنة والخفية في كل وقت بيـن أصحاب البرامج إذا أحسّ أحدهم أنه مهدد من جهة إعلامية أخرى.

أحد أصحاب البرامج الرياضية اغتاظ وسـارع بالرد القوي في منبـره الإعلامي عندما ظن أنه المعني بتلميح مقدم برنامج رياضـي فـي قناة أخـرى ولمّـح للأسـلوب الرخيـص لبعض الإعلاميـن من أجل التقرب من رجال الأعمال، وفي افتتاحية البرنامج صفّى الحسـابات وبكل وضوح تحـدث عن الرعاية التـي يحظـى بها مـن هـذه العلامـة التجارية بجدارتـه ونجاح برنامجـه ومشـاهدته العاليـة واتهم منافسـيه بالحسـد والغيرة ومحاولتهم تشويه علاقته بـ «صديقه» رجل الأعمال المعروف مؤكدا على قوة العلاقة التي تصل إلى حد استقباله وتوديعه في بهو مكتبه عندما يزوره للاستشـارة واتهم الإعلامي الذي يشن عليه الهجوم ولم يكشـف عن اسـمه حتى ينجو من المسـاءلة القانونية، بأنه كان في فترة ما ضد المصلحة العليا للوطن؟؟؟؟ وكشف سرا يعلمه عن غريمه وأسلوبه في استدراج الرعاة إلى

برامجه فيحدد الهدف ثم يكثّف عليه الهجومات حتى إذا لفت انتباهـه يكون جاهزا للاهتمام والرعاية السـخية وهو أسـلوب منظم ويعتمد على فريق كامل تهمهم الغنائم وتحصيل الرعاية والمكافـآت المجزيـة لكنه ختـم خطابه المباشـر بتوجيه نداء لرئيس الجمهورية يطالب بفتح ملف الإشـهار، وأكد بصراحة على وجود عصابات تتحكم فيه وتتلاعب بالمصلحة العامة.

وبالرّغم من خطورة هذا التصريح لم تتحرك أي جهة للنظر والتحقيـق في الأمـر الموقف أردناه شـاهدا ومثـالا عما يتابع الجمهـور الرياضـي فـي البرامـج الرياضية ومقاطـع منصات التواصـل الاجتماعي التي تعرّي شراسـة الصراع على الرعاية والإشهار ويكشف ما يجري في كواليس البرامج الرياضية من تجاوزات وسـلطة ونفوذ رجال الأعمال في الإنتاج الإعلامي ودرجـة التحكم في خطهـا التحريري وهو نمـوذج لمهاترات كثيـرة هي سـبب الاحتقان والتوتـر لمناخ كرة القدم التونسـية وزيـادة تعصب مجموعات الالترس فـي منعرجات الملاعب الرياضيـة يوم المباراة وانفجار أحداث العنف والفوضى لأتفه الأسباب.

4. هل أصبح الكرونيكور قائد رأي؟

أصبح الكرونيكور ضيفاً قارّا في البرامج الرياضية لا يمكن الاستغناء عن حضوره، وأغلب البرامج الرياضية من صنف الـ «توك شو»، تعتمد على النقاشات والآراء المختلفة والمتناقضة

فتبلـغ النقاشـات درجة السـجال والجـدال والتعصـب للرأي لتنتهي بصراعات نبرتها متشنجة ومتوترة تتصاعد إلى الصراخ والاتهام والشـتم والقذف، المشـهد لا يحتـرم أدنى متطلبات الـذوق واللياقة ولا يُراعـي اعتبار أن هذه الصـورة التلفزيونية تدخل كل البيوت ويشـاهدها كل أفراد العائلة مجتمعين فيبرز تعصّـب الكرونيكورات، لأنديتهم ويرتبـط حضورهم بتمثيل نادي بعينه ليدافع عنه حقًّا أو باطلًا.

وبكل وضوح يعبّرون عن انتمائهم وولائهم إلى حدّ أصبح معـه هذا السـلوك أمـرا مقبـولا ولا حرج في حضـور بعضهم بأزيـاء الفـرق فـي الأسـتوديوهات ويصبـح التعصّـب وجهة نظـر مقبولة جدا لا يزعج أصحـاب البرنامج بعضهم أصبحوا نجوما تتسابق إليهم البرامج على اختلاف تخصصاتها، يدلون بدلوهم بخفة ظلهم في كل المواضيع رغم ضعف مسـتوياتهم المعرفية، وأهم من ذلك الأخلاقية والذوقية بأسلوب شُعبوي يُدغدغ المشـاعر والغرائز فتشكّلت مجموعات ولوبيات لفئة الكرونيكـورات المسـتحدثة بهذا الشـكل والتوظيـف، تلتقي فـي مقـاه معروفة تخطط وتـوزع المهام مع أصحـاب البرامج والمصالح من لاعبين قدامى ومدربين ورجال قانون ومسيّرين سـابقين ومن يبحث عن فرصة ظهـور ليلمّع صورته أو يحرّك حضوره في السـاحة الرياضيـة لعلّه يُلفت نظـر الأندية فينتقل مـن المنبر الإعلامي ومن كرونيكـور إلى مدرب. ليحل محله

زميـل تمنح له نفس الفرصة التي شـابتها الشـكوك والأقاويل والمتاجـرة بالأماكـن وتتسـع دائـرة اللوبيـات بضـم بعـض الوسـطاء، ووكلاء اللاعبين، وممثلين لبعـض رجال الأعمال أو مـن يدّعي نقل وتبليغ رغباتهـم واقتراحاتهم، بالإضافة إلى وعود الرعاية والإشهار، ومنافع عديدة فبات مكشوفا للجميع أن بعض الكرونيكـورات يجتهدون لإظهار انتمائهم وولائهم إلـى درجة قصوى من التعصـب والعناد، والخطاب المسـتفز ولا يضـع الإعلامي المشـرف على البرنامـج أي حدود لذلك بل يشارك في لعبة الإثارة حتى وإن بلغ الجدال حالة السطحية والبذاءة والتجريح والوقاحة، لحظتها يظن صاحب البرنامج أنه بصدد تحقيق الإنجاز الإعلامي الفذ كيْ يبلغ ذروة المشـاهدة لا يحضـر في ذهنـه أي احتـرام للجمهور المتنـوع الذي يتابع البرنامج، خاصة إذا صدر عن بعض الكرونيكورات المفوّضين من فرق كبرى لها سطوة ونفوذ وعلاقة بالرعاية والإشهار.

جمهور الرياضة شاهد

في جولة بيـن البرامج الرياضية التلفزيـة والإذاعية، أتحفنا بعـض الكرونيكـورات بتعليقـات لا بـد أنهـا أثـارت حفيظـة الجمهـور الرياضـي، وهـزّت أركان الثقـة فـي كل الأطـراف المتداخلة في اللعبة نورد بعض النماذج للذكر لا للحصر فأحد الحكام السـابقين يصـف في برنامـج رياضي رئيـس الجامعة الجديد بأنه المسـؤول الثاني - حسـب كلماتـه - أراد المذيع

التصحيـح، معتبـرا أنها زلة لسـان لكن الكرونيكـور أكد على ذلك وأن المسـؤول الثاني هو الرئيس الحقيقي للجامعة، وأن المنظومة السابقة تجدّد نفسها في المكتب الجامعي الجديد

وكرونيكور صعد نجمه خلال المواسم الأخيرة لخفة ظله، يقول عن حركة يوسـف بلايلي اللاأخلاقية بعد تسـجيله هدفًا منقـولا على الوطنية الأولى مباشـرة أن الحركـة لا تحمل أيّ دلالـة لا أخلاقية في بلد اللاعب وأحد الكرونيكارات تحدّث عمّـا يحظـى بـه ناديه مـن علاقـات واسـعة، متباه بأنـه يمكن لجمهوره مخالفة القانون وإدخال الشماريخ للمدرجات دون منـع لاعب سـابق، كرونيكور حالـي، يؤكد في تشـنج كبير أنّ ناديه يتعرض للظلم الجهوي الممنهج فلا يتم إشراك من يمثله فـي البرامج ويُسـتهدف بالاعتـداء أينما تنّقـل وأحاديث كثيرة ومتنوعة معروضة على الشاشات متعلقة بالرشاوى والاحتيال والخيانـة والشـائعات، تُـروى في سـياقات الفخـر والاعتزاز بالـذات كما لـو كانت إنجـازا وبطولـة وذكاء عبقريـا، لينتهي المشهد بضحكة وقحة من زملائه الكرونيكورات.

5. المعايير المهنية والاكاديمية لكرونيكور البرامج الرياضية

ما معنى «كرونيكور؟

(Chroniqueur)

كلمة «كرونيكور» مأخوذة من اللغة الفرنسية، وتُستخدم كثيرًا في الإعلام، خاصة في دول شمال إفريقيا، وتم استعارتها من الإعلام الفرنسي.

المعنى العام

الكرونيكور هو الشخص الذي يكتب أو يقدّم فقرة ثابتة تُسمى «كرونيك» (Chronique) سواء كانت في شكل عمود رأي في صحيفة، أو تعليق دوري في برنامج إذاعي أو تلفزيوني عادةً ما يعبّر عن رأيه الشخصي، ويمكن أن يتناول مواضيع مختلفة مثل السياسة، أو المجتمع، أو الثقافة، أو الرياضة

الكرونيكور في البرامج الرياضية هو الشخص الذي يشارك في تحليل الأحداث الرياضية، والتعليق على أداء اللاعبين، وإبداء الرأي في قرارات المدربين أو الحكام، بالإضافة إلى مناقشة قضايا الرياضة بشكل عام غالبًا لا يكون الكرونيكور محايدًا، يُعبّر عن وجهة نظر معيّنة، وقد يكون من أنصار نادٍ معيّن، وله أسلوبه الخاص في النقد والتحليل.

الكرونيكور الرياضي يتمتع بعدة صفات رئيسية يقدّم تحليلات فنية أو تكتيكية أو إدارية للمباريات أو الأندية،

معتمداً على معطيات دقيقة يشارك في النقاش مع مقدّم البرنامج وضيوفه، وقد يعارضهم بشكل مباشر يُعبّر عن مواقفه الخاصة التي قد تكون مبنية على رؤية مهنية أو انطباع شخصي بعض البرامج تستعين بكرونيكورات معروفين بأسلوبهم الجدلي لإثارة الجدل وجذب الجمهور

المعايير المهنية للكرونيكور في البرامج الرياضية

بالرغم من أنّ الكرونيكور يتمتع بحرية التعبير عن الرأي، فإنّ دوره الإعلامي يتطلب الالتزام بمعايير مهنية محددة

الموضوعية والحياد النسبي

يُسمح له بإبداء الرأي، لكن يجب أن يكون هذا الرأي منطقيًا ومبنيًا على معطيات واقعية، وليس فقط على انطباعات أو تحيّزات شخصية الحياد التام ليس ضروريًا، لكن يُتوقع منه قدر من التوازن والموضوعية

الاعتماد على التحليل والمعطيات

من غير المهني أن يُبنى الرأي فقط على الانطباعات أو الآراء العامة بل يجب أن يدعّم الكرونيكور مواقفه بإحصائيات دقيقة، وتحليل فني أو تكتيكي، ومقارنات موضوعية

الاحترام في الخطاب

من الأساسيات ألا يتجاوز حدود اللباقة في الحديث يجب تجنّب السخرية من الضيوف أو الجمهور، واحترام

الـرأي المخالف، والابتعاد عن العبـارات المهينة أو التهكمية أو العنصرية

الإلمام بالشأن الرياضي العام

أن يكـون الكرونيكـور مطّلعًا علـى تفاصيـل الرياضة التي يناقشـها، سـواء من حيث تاريخها، أو قوانينها، أو مستجداتها المحليـة والدوليـة والكرونيكـور الجيد لا يتحـدث فقط عن الفرق التي يفضلها، بل يفهم السياق الرياضي الكامل

الاستقلالية في الرأي

يُفتـرض أن تكـون مواقـف الكرونيكـور نابعة مـن قناعاته الذاتيـة، لا من توجيهات جهـات خارجية مثل أندية، أو وكلاء لاعبين، أو مسؤولين

القدرة على النقاش والحوار التلفزيوني

يجـب أن يمتلـك الكرونيكـور مهـارة التفاعـل الذكـي مع مجريات الحوار، والرد بمرونة على الأسئلة أو الاستفزازات، مع استخدام لغة واضحة ومباشرة تناسب الجمهور العام

تجنّب الإثارة المفتعلة

مـن الأخطاء الشـائعة أن يسـقط بعـض الكرونيكورات في فخ «الفرجة» أو الجدل من أجل الجدل فقط المهني الحقيقي يرفـض إثارة الجدل لمجرد جـذب الانتباه، ويركز على تقديم قيمة فكرية وتحليلية للمحتوى

التمثيل الإعلامي المسؤول

الكرونيكور شخصية عامة تظهر على الشاشة، لذا من المهم أن يحافظ على صورته ومصداقيته أمام الجمهور، فيتجنب تضارب المصالح، ويحرص على المهنية.

6. المعايير الأكاديمية والمهنية لبرنامج التوك شو الرياضي

لنفهم طبيعة البرامج التلفزية والإذاعية من خلال قواعدها ومعاييرها الأكاديمية والمهنية ودرجة التحول إلى مسخ مهجن غريب علينا أن نتوقف في حيز بسيط لتدقيق النظر والمراجعة السريعة لبرنامج التوك شو الرياضي شكلا ومضمونا

TALK SHOW

التعريف

برنامج التوك شو الرياضي هو مساحة حوارية متلفزة أو إذاعية، تُعنى بمناقشة الأحداث والقضايا الرياضية الراهنة من خلال حضور ضيوف مختصين، وطرح وجهات نظر متعددة، ضمن إطار يراعي المهنية والموضوعية واحترام المتلقي

الأهداف العامة للبرنامج

1. تقديم تحليل فني وموضوعي لمجريات الرياضة
2. تنمية الوعي الجماهيري تجاه القضايا الرياضية

3. فتح نقاش نقدي حول السياسات والممارسات داخل المنظومة الرياضية

4. الإسهام في تطوير ثقافة رياضية مدنية تحترم الرأي والرأي المخالف

مواصفات الضيوف

-محللون فنيون يمتلكون خبرة عملية في الميدان (مدربون، لاعبو كرة سابقون)

-مختصون في القانون الرياضي أو التحكيم

-إعلاميون رياضيون ذوو كفاءة وحياد

-جمهور رياضي يشارك بطريقة منضبطة وعبر أدوات تفاعلية

-يُستبعد الضيوف المعروفون بالشعبوية أو بتأجيج الانقسامات

دور مقدم البرنامج

-إدارة الحوار بحياد وصرامة مهنية

-احترام توازن الوقت بين الضيوف

-التدخل عند الانزلاق نحو التهجم أو الخطاب الشعبوي

-طرح أسئلة محفزة وعميقة دون توجيه أو استدراج

هيكلة الحلقة النموذجية

-تقديم افتتاحي يطرح المحاور بوضوح

-فقـرة أولى لتحليـل حدث رياضـي راهن (مبـاراة، قرار، تصريح)

-فقـرة ثانيـة تناقـش قضيـة أوسـع (قوانين، عنف، فسـاد، جمهور...)

-فسحة للتفاعل مع الجمهور (اتصالات، تعليقات)

-خلاصـة تحليلية تعيـد ترتيب النقاط وتقـدّم أفقا للنقاش القادم

المبادئ الأخلاقية والمهنية

-الالتزام بميثاق الشرف الإعلامي

-الحياد وعدم الانحياز لأي طرف

-الابتعاد عن الإثارة المجانية والتهريج

-احترام عقول المشاهدين وتنوع أذواقهم

معايير جودة البرنامج من منظور أكاديمي

-المصداقية: اعتماد المعلومة الدقيقة وتحري الدقة

-التعدديـة: اسـتضافة آراء متنوعـة وتمثيـل الجهـات المختلفة

-العمق التحليلي: تجاوز السطحية والانفعالية

-السلامة اللغوية: استعمال لغة واضحة ومحترمة

التوك شو الرياضي، إذا التزم بالمعايير الأكاديمية والمهنية، يمكـن أن يكـون أداة فعالـة فـي تنمية ثقافـة رياضيـة متوازنة،

ويـؤدي دورا محوريـا فـي الإصـلاح والتنوير، لا فـي الإثارة والانقسام

7. الإعلام الجديد والفوضى الخلاقة

لـم تكن ظاهرة التدنّي والتراجع فـي أهمية القيم الأخلاقية والإنسـانية مفصولة عـن واقع عام اجتـاح كل العالم ولن تمر هذه الطفرة التكنولوجيـة والعلمية بدون تبعات في إطار قديم متجدد مرتبط بصراع أزلي بين قوى الخير وقوى الشر

ومع كل الإيجابيات المرتبطة بالوسـائط الحديثة وما غنمته البشـرية مـن منافع تعلقت بسـرعة إيصـال المعلومـة وتبليغها والتحـرك علـى ضوئهـا فهنـاك الوجـه الآخـر للعملـة متعلقا بالاسـتعمال والاسـتغلال والتوظيف وقتها سـنكون في قلب الموضوع وتعقيداته وتفاصيله

فبضغطة زر واحدة يمكن أنْ تسـتفيد الإنسانية جمعاء بنقل سـريع للخبـر وبذات الزر يمكـن أن يدخل العالـم في فوضى سـميت – بالفوضـى الخلاقـة –ونتطرق إليها في سـياق تعدد الوسـائط ومنصـات التواصل الاجتماعـي وتأثيراتها السـلبية الذي عكـرت الحياة وأشـعلت الصراعات والمعـارك بالزور والكـذب والادعـاء وحجـب الحقيقـة أو جـزء منهـا وتوجيه الاتهامات وأكثر من ذلك

فيصبـح الإعـلام الجديـد متاحـا بقـوة لـكل المسـتويات والأعمار والانتماءات والمزاجيات ومن وراء keyboard

يمكن لأي كان أن يتسبب في الفوضى العارمة والأضرار الجسيمة

فالمضامين الإلكترونية من خلال التدفق فائق السرعة أيضا والمشاركة والترويج الآلي والعشوائي، تساهم في انتشار الأخبار الزائفة والشائعات الكاذبة فتأخذ الناس إلى المصير المجهول والفوضى وعدم القدرة على التحكم أو التوقع إلى أي المسارات يمكن أن تتجه وهي حالة –النظام الإعلامي المضطرب– وقد يتداخل مع مضامين إعلامية أخرى قادمة من فلك آخر يشوش الفكر ويحجب الصورة ويجعل من توقع الأحداث وفهم واقع وحقيقة الأخبار الواردة صعبا وقد يبلغ الاستحالة إذا تعلق الخبر بدوائر معينة على قدر من الحساسية والخطورة فتحضر الفوضى بكامل شروطها وتأثيراتها السلبية ويعمّ التخبط والعشوائية فيعجز المتلقي عن استيعاب الأحداث والإلمام بها ويحضر السلوك المستهتر فينشر على أساس أنه خبر موثوق المصادر وفي تونس إبان الثورة حرصت الطبقة السياسية على تكريس هذا الفضاء الافتراضي لنشر أفكارها وتلميع صورها وتنفيذ أجنداتها زيادة عن وسائل الإعلام الرسمية التي فتحت لهم المجال على مصراعيه في فترات وأغلقته في فترات أخرى بحسب ما مرت به البلاد من مراحل سياسية متقلبة أثرت كثيرا على حرية التعبير صعودا ونزولا وصراعا بين السلطة والمعارضة وموازين القوى فيما بينها

وضغط الشـارع التونسـي وقد تزامن كل ذلك مع بروز تقنيات حديثة تتيح التلاعب بالصور والنصوص والفيديوهات وانتشار مفهـوم الاندمـاج بين مختلـف تقنيات الوسـائط المسـموعة والمرئية والمكتوبة LA CONVERGENCE

فيكون المسـتخدم هو مـن يتحكم بوسـيلة الاتصال ويُنتج مضمونـا إعلاميا فتتحـول العملية الاتصالية إلـى حالة تبادلية بين المرسـل والمسـتقبل بمعنى أن الاتصال من اتجاهين بين طرفـي العملية الاتصاليـة TWO WAY COMMUNICATION وأطلـق علـى الإعـلام الجديـد عـدة تسـميات منهـا الإعلام التفاعلي لجمعه بين النص والصوت والصورة في ملف واحد تلعـب فيه التقنية دورا فـي إضفاء خاصيـة التفاعلية على ذات المضمـون بإضافة صـورة أو تعليق خاص ثم ينشـر من جديد وهـو إعلام رقمي تتصـل تطبيقاته بالتكنولوجيـا الحديثة التي تغطي أي نظام أو وسـيلة إعلامية من خـلال الكمبيوتر ويأخذ أيضا تسـمية «إعلام الوسائط المتشـعبة» (HYPERMEDIA) دلالة على اسـتخدامه لبعض الوصلات المتشـعبة (LINKS) المتصلة به كما أطلق عليه تسـمية الإعلام الشبكي الحي على خطـوط الاتصال (ONLINEMEDIA) لارتبـاط هذا النوع من الإعلام بشبكة الأنترانت مثل الشبكات الاجتماعية.

ويؤكد الباحثون في هذا المجال على الميزات في استبدال الإعلام الجديد الوحدات المادية بالرقمية وتشبيك عدد غير محدد من الأجهزة وتلبية الاهتمامات الفردية والعامة.

والميزة الأكثر أهمية هي خروج هذا الإعلام من أسر السلطة المتمثلة في قادة المجتمع والدولة إلى أيدي الناس جميعا، ودليله في تونس بتحريكه الثورة ومنحها الزخم المحلي والعالمي قبل نشوبها وعده لنخلص إلى أن الإعلام الجديد بخصائصه وفضاءاته الافتراضية نقل الإعلام التقليدي إلى آفاق غير مسبوقة ومنح مستخدميه فرصا كبرى للتأثير والسفر عبر الحدود بلا رقابة إلا نسبيا وجعل صناعة الخبر والحدث عملية ميسرة مهنيا متيحا الفرص للتيارات المختلفة والاتجاهات والأقليات أن يكون لهم صوت سريع الانتشار وقليل التكلفة بعيدا عن الرقابة كما غير من جغرافية المنظومة الإعلامية وأخذها إلى ديناميكية متقلبة ومتسارعة ومعقدة تسودها الفوضى والاضطرابات اُصطلح على تسميتها «بنظرية الفوضى الخلاقة أو الشواش» وقد وردت تعريفات متعددة لمفهوم (CHAOS) الشواش ومنها الفوضى والتشويش والاختلال الكلي كما تعني حالة التشويش المطلق حالة عدم الرؤية والعماء وتعني الاضطراب الشديد بعيدا عن التوازن والنظام، تعود الكلمة إلى جذور يونانية قديمة تعني الفراغ البدائي والعدم السابق عن الخلق وأصبحت حديثا وضعا

وحالـة يختلـط فيهـا كل شـيء دون ضوابط وقواعـد وقوانين ودلالتهـا فـي العلـوم السياسـية والاجتماعيـة مرتبطـة بانهيار النظام وانفلات السيطرة زمن الثورات والأزمات وفي الإعلام تستعمل للإشارة مجازا إلى الفوضى المعلوماتية أو كما ذكرْنا -الفوضى الخلاقة- في حالة اسـتخدامها لإحداث التغييرات الكبرى .

تجليات الفوضى الخلاقة في الإعلام الجديد:

الفوضـى الخلاقة نظـام ديناميكي متداخـل ومعقد ينطوي علـى سـلوكيات غيـر منتظمـة ومسـتقرة عناصرهـا الماديـة والرمزية مولّدة لمثل هذه السلوكيات، فيربك منظومة الإعلام فـي طبيعتها وبنيتها التحتيـة والمعرفية المتداولـة وأثرها على المتلقـي فـردا كان أو جماعـات وجماهير ويكـرّس الفوضى في الفضـاء من خلال الحضـور المتنامي لأقمـار الاتصالات والأقمار المتحركة وأقمار المراقبة والرصد.

وتنـزل تلك الفوضى إلى الأرض ويغـذّي أطوارها الفضاء اللامتناهـي لشـبكة الأنترنـت. والأخطر من ذلـك كله فوضى المفاهيـم والمصطلحـات المتزاحمـة مـع فيضان مـن التدني اللغوي يؤدي حتما إلى تراجع مقاييس الجودة والإبداع

فيقابـل الإعـلام المؤسسـاتي الـذي تنتجـه المؤسسـات الرسـمية والمنظمـات العالميـة والجمعيـات والمؤسسـات الحكومية، إعلام الفرد في المدونات والمفكرات الالكترونية

الشـخصية بمضامينها المتدنية فتدفقت رسائل متحررة من كل ضوابط التحرير والكتابة.

وتصادمـت الحريـة النسـبية بالحريـة المطلقـة فـي فضـاء سـيبيرني، وهـو مـا أنتـجَ تراجعـا لافتـا للموضوعيـة أمـام اسـتفحال مظاهـر الذاتيـة المفرطـة، ونشـر تفاصيـل الحيـاة الخاصـة والحميمـة على صفحـات الفضـاء الافتراضي ومن إعـلام تقليـدي جماهيـري أطلـق عليه سـابقا مسـمى MASS MEDEA إلى مجـال الفردية ويسـمى INDIVIDUAL MASS MEDIA فأصبـح بإمـكان كل العالـم أن يبـث ويسـتقبل على نحـو جماهيري وظل اتجاه ونسـق التغييـر الاجتماعي ضبابيا يصعـب تحديـد ملامحـه ووارد انحرافـه عن المتوقـع لذلك اعتبر الإعلام الجديد خارجا عن السيطرة والضبط لا يقين فيه وهـو ركيزة النظام CHAOTIC SYSTEM المتضمن بالضرورة للفوضى والعشوائية يتضح التداخل والتعقيد في صياغة وبث واستقبال الرسالة والمضمون الإعلامي الذي يسلك الملايين من الشبكات والممرات والطرق الالكترونية المتشعبة وتجتاز الملاييـن من الكيلومترات، لتصل إلـى كل الناس عبر الفضاء الافتراضي ومنصات التواصـل الاجتماعي وما كان يبث على شاشـة التلفـزة يمكـن عن طريـق تطبيق بسـيط أن يعبـر الكرة الأرضيـة في ثانية ويؤثر فـي مراكز القرار وسـعر برميل النفط

وأسـهم البورصة وتحقيق الأرباح أو إلحاق الخسائر في ثوان قليلة.

ولا يسـتثنى الإعـلام الرياضـي مـن كل هـذه الصراعـات والتجاذبات والمصالح والطموحات الشـرعية وغير الشـرعية فيتمّ توظيفه لتحقيق الأهداف والغايات ما دام جهاز الكمبيوتر يوحّـد الاسـتعمال ويجعلـه متاحا علـى نفـس الدرجة ونفس الوقت، ليسخر في الاتجاهات الانتهازية والمصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة والنزاهة والصدق والموضوعية والحيـاد ومعـارك الخير والشـر الأزليـة فنكون أمـام ضرورة حتمية للرجوع إلى الجادة والالتزام بأخلاقيات مهنة الصحافي وتحكيـم الضمير ومواصلة الحرب على الفسـاد والمفسـدين فـي قطاع الإعلام عموما والقطـاع الرياضي تحديدا فهو الذي يؤثر ويتأثر بالأجواء العامة للبلاد ودرجة اسـتقرارها السياسي والاقتصادي.

8. النفاذ إلى المعلومة

لتكريس الشـفافية ورفـع الغموض وحجـب المعلومة عن الـرأي العـام كان لابد من إحـداث أرضية قانونيـة تراعي هذا المعنى وتتناسب والمطلوب الثوري ومن هنا جاء قانون الحق في النفاذ إلى المعلومة لجعلها متاحة لمن يطلبها لإنارة الرأي العام والاطلاع على كيفية اتخاذ القرار وإدارة الأمور

فتضمـن الوضـوح والحقـوق والمراقبـة والمحاسـبة فـلا يفلت من العقاب من أخطأ ويتحمل جميع الأطراف مسؤولية أفعالهم وقراراتهم فأصدر البرلمان التونسي القانون الأساسي عدد 22 لسـنة 2016 المؤرخ في 24 مارس ونشـر في الرائد الرسمي عدد 28 بتاريخ 29 مارس 2016 ودخل حيّز التنفيذ فـي مـارس 2017وهو قانـون يقر بحـق النفاذ إلـى المعلومة التـي بحوزة الهيـاكل العمومية ومـن يتصرف في المـال العام ويقدم خدمة للمصلحة العامة. ونص الفصل 38 لهذا القانون الأساسـي على إحداث هيئة تسـهر على حسـن تطبيقه وتكون ذات شـخصية قانونية مسـتقلة إداريا وماليا تصدر قراراتها في النزاعات المتعلقة بحق النفاذ إلى المعلومة وشـفافية التعاطي مـن خـلال تقاريـر سـنوية ترصد مـدى احتـرام هـذا الحق ثم نشرها للعموم وتلتزم بتطبيقه الإدارات العمومية والجماعات المحليـة من بلديات ومجالس جهوية ومؤسسـات ومنشـآت عموميـة وهيئـات تتلقـى التمويـل العمومي أو تقـدم خدمات عامـة فتعين مكلفاً بالنفاذ إلى المعلومة وتنشـر الأساسـية منها اسـتباقاً بما يشمل الميزانيّات والهياكل والقرارات والصّفقات من الميزانيات إلى الهيكل والقرارات والصفقات وما إلى ذلك في أجل لا يتجاوز عشرين يوماً لذلك اعتبر مكسبا تشريعيا في تونس إبان الثورة لكن على أهمية القانوني وسموّ أهدافها على المسـتوى التشـريعي والنظري فقد عـرف الكثير مـن العوائق

علـى أرض الواقـع والتطبيـق بسـبب الروتيـن المعقـد وثقافة الإدارة المتكلسـة وغياب الردع والحافـز والوعي المجتمعي الرياضـة كمـا كل المجـالات والمرافـق العموميـة فـي البلاد تتأثر بالترسـانة القانونية عندما تطبق بشـكل كامل أو جزئي أو عندمـا يتم التغاضي عنهـا وتجاوزها. ورغم تعثـر تطبيقها في مجـالات مختلفة وما أفرزت الممارسـة مـن صعوبات تتعلّق بحسن الاستفادة وبتطوير منظومة الشفافية والحوكمة الرشيدة للمؤسسات العمومية، فإن مجال الإعلام الرياضي فوت على نفسـه الفرصة ولم يكـرس هذه الآلية بالشـكل المطلوب. فلا تـرد في الأخبـار الرياضية إلا نـادرا تلك الصيغـة الدقيقة التي تستعملها الصحافة الاستقصائية مثل وفق ما كشفت عنه وثيقة تحصلنا عليها في إطار حق النفاذ إلى المعلومة

أو المعطيـات الـواردة في هـذا التقرير تم الحصـول عليها رسميا عبر مطلب نفاذ إلى المعلومة موجه إلى المؤسسة كذا

أو جميع الأرقام والبيانات مسـتمدة من إجابة رسـمية على مطلب نفاذ إلـى المعلومة مؤرخ في كذا ورجح الاعتماد على الشـائعات وصيغت الأخبـار عند الكثير مـن الإعلاميين على نحـو أظن وأعتقـد وربما والأقـرب والأرجح فما عـاد للخبر قدسـية وتداخـل مع التعليق وكثيـرا ما ناقشـت برامج رياضية وقائع غير مؤكدة من قبيل الإشـاعة أو اللا خبر وأخذت الرأي العـام فـي اتجاهـات مضلّلة عـن الحقيقـة مسـتفزة للجماهير

الرياضيـة، وهو ما يتسـبّب فـي الاحتقان الذي يبلـغ ذروته في مظاهر للعنف والصدامات في حين تبقى الكثير من المواضيع التي تحتـاج إلى تقديم مطالب نفاذ إلى المعلومة بعيدة عن أن تجـد مكانا على قائمـة أولويات بعض البرامـج الرياضية التي تقتات على الإشـاعة والأخبـار الزائفة والملفقـة لتحقق ربحا رخيصا وشهرة بائسة.

9. الصحافة الصفراء تكتسح الفضاء الإعلامي

الحديـث عن ظاهـرة التدنّـي والنـزول بالمسـتوى القيمي والأخلاقـي فـي الإعـلام الجديد لا يجب أن يقـف في حدود الربـط فقط بالحاضر بما يحمله من تعقيدات وما طرأ عليه من مؤثرات جذريـة غيرت الملامح والمفاهيـم والتعاطي والبث وتلقي للمضامين الإعلامية على اختلافها وتنوعها

فقد عرف تاريخ البشرية ما مهد لتواصل الظاهرة في أشكال وأنـواع جديـدة ملائمـة للتطور العلمـي والتكنلوجـي الراهن وانتبه الناس لسـهولة إيصال أي فكـرة مهما كانت إلى أقاصي الدنيـا بـدون أي صعوبـة أو رقابـة أو حـدود وزاحمـت بقـوة الإعـلام الكلاسـيكي الذي منه ما وقع في فـخ اتباع هذا النهج خوفـا من التخلف عن الركب والممثلون لهذا الاتجاه ملأتهم الخشـية مـن أن تتجاوزهم الأحداث فركبـوا الموجة وضربوا عـرض الحائـط بشـرف مهنـة الصحافـة والإعـلام وميثاقهـا والتطـرق إلـى الجـذور التاريخية لظاهـرة الصحافـة الصفراء

والديبلويـد والترند والبـوز وهي مصطلحـات العصر الرقمي الحديث، تحتّم علينا النظر أولا في سـيرة الصحفي الأمريكي شـارلز اندرسـن دانـا Charles Anderson Dana الـذي قرّر بعد خوض تجربة سياسـيّة هامـة الرجوع إلى مهنتـه الأصلية التي بدأ بها مشـواره منذ الشباب وتدوين خلاصة تجاربه في كتاب يتحدث فيه عن مشاق المشوار وصعوباته ونشر عصارة تجاربه لسـنوات طويلة، وصدر الكتاب عام 1900 تحت عنوان The art of newspaper making شرح من خلاله نظريته التي انتشرت فيما بعد في عالم الصحافة والإعلام وهي نظرية

MAN, BITES DOG ونظرية «رجل عض كلبا» التي تُدرس اليـوم فـي كل جامعـات الصحافة والإعـلام كأحـد المفاهيم الرئيسية، تقوم على اعتبار الخبر الأهم للقارئ هو الأكثر غرابة وإثارة وهو الذي يجذب الانتباه ويُلهب الفضول ويزيد الإقبال على الصحيفة فيساهم في مضاعفة التوزيع والمبيعات وتحقق الأربـاح ثم جـاء بعـده الأب الروحي للصحافـة الصفراء راند ولـف هيرسـت (1863/ 1951) ويقدم تحديـا تاريخيا أقنع به المسـتثمرين في الإعلام والباحثين عـن الربح الوفير عندما اشـترى صحيفة «جورنال» الأمريكية حين كانت توزع ثلاثين ألف نسـخة فقط، وفي غضون أشـهر قليلة وصل توزيعها إلى 400 ألـف، فقد نجح راند في جلب القراء السـلبيين الذين لا يحرصون على قراءة الصحف واسـتقطبهم إلى اقتناء صحيفته

التـي اعتمـدت على فكر تسـويقي جديد مطابقـا لنظرية – دانا –التـي تسـتند على مقولـة «الخبر هـو رجل عـض كلبا» وهي صحـف من قطع صغيرة تسـمى «التابلويد» راجت في إنجلترا وأمريـكا فـي القرنيـن 19 و20، وقد سـاعد حجمهـا الصغير على منـح خصوصية لقرائها أثناء مطالعـة الفضائح الأخلاقية والشـائعات وكل أنـواع وأصناف الإثارة بهـدف جذب القراء وإغرائهم لشراء الصحيفة والتي سميت بالصحافة الصفراء

الصحافة الصفراء

هي نوع من أجناس الصحف التي توجه مادتها تحت مسمي «اختبار المشاعر بالوكالة» AGENCY IN EMOTIONS

وهـي متعـة مطالعة تفاصيـل الجرائـم والقصـص الغرامية والجوانب الخفية من حياة المشـاهير من الفنانين والسياسيين ونجوم الرياضة، تعتمد على الملاحقات والتجسس والمراقبة وتعرف بـ «البابارازي» هذه الصحافة التي تعتمد على التهويل والتضخيـم والانتقـاء والتعتيـم والتمويه والتشـويه واسـتثارة الغرائـز غاياتهـا ذاتية وأنانيـة ضيقة فقط لرفع نسـب الاهتمام وكمـا تسـمى اليـوم نسـب المشـاهدة والمتابعـة والمشـاركة لاسـتدراج الرعاة وإعلانات الإشـهار فـي تلفزيـون التابلويد Tabloid television وهـو صنف من صحافة التابلويد التي تقدم نشـرات إخباريـة وقصصا مثيرة تركـز على الإثـارة والجريمة والتفاصيـل الحميمـة للحيـاة الخاصـة يلتقطهـا المصـورون

لمشـاهير الفـن والرياضـة والسياسـة وتدعى صحافـة الإثارة والترفيـه SENSATIONAL/ENTERTAINMENT PRESS انتشـرت في نهاية القرن التاسع عشـر والقرن العشرين ببرامج التابلويـد الحوارية وهي البرامج التـي انطلقت بقوة في تونس بعد 14 جانفي 2011 وانتشـرت بسـرعة مستغلة مناخ حرية التعبير والانفجار في ظهور الأعداد الكبيرة من وسائل الإعلام التـي كسـرت قيـود احتكارهـا من السـلطة الحاكمة فنشـطت وسـائل الإعـلام الخاصة التي ركضت وراء جذب المشـاهدة بـكل الطـرق وتحقيق أعلى نسـبها لجلب الرعـاة ولفت انتباه رجال الأعمال وأصحاب المصالح المختلفة.

والمؤسف أنّ ملاحقة هذه الأهداف أخذت أساليب جديدة من الاستدراج والتملق والتمسح على الأعتاب.

البابارازي PAPPARAZZI

هو مصطلـح أطلق علـى المصوريـن الفوتوغرافيين الذين يلاحقون المشـاهير من رجال ونساء الفن والرياضة والسياسة ويلتقطون صورا من حياتهم الخاصة شديدة الخصوصية يصل إلى حـد اقتحام البيوت والتلصص وظهر هـذا المصطلح عام 1960 فـي فلـم سـينمائي إيطالي للمخـرج فيديريكـو فيليني بعنوان LA DOLCE VITA– الحياة الجميلة – بمعنى المصور المتطفـل والمزعـج للنجـوم والمشـاهير السـاخرمن التـرف واللامبالاة في المجتمع الإيطالي فترة ما بعد الحرب

ووظفت الصحافة الصفراء هذا الصنف من المصورين واستغلت الصور الفضائحية التي يلتقطونها لتكون صور غلاف أو صورا مؤثثة للصفحة الأولى وخاصية مصور البابارازي أنه مصور مستقل تدر عليه حرفته الأموال الطائلة وتسعر الصور حسب قيمة النجمة أو النجم وفضاعة السلوك الفاضح أو السر الذي كشف من الخصوصيات ويعتبر المصور الأمريكي ذو الأصول الإيطالية رون غاليلا RON GALELL من أشهر مصوري البابارازي في تاريخ الإعلام وقد نظم الكثير من المعارض حول العالم عرض خلالها أشهر وأهم الصور التي التقطها في مشواره المهني الطويل وقصصه مع مشاهير هوليود ورجال السياسة والرياضة ورجال الأعمال وأشهر قصصه كانت مع (جاكلين كندي) أرملة الرئيس الأمريكي السابق (جون كندي) عام 1971 وعرفت باسم WINDBLOWN JACKIE ودخوله معها في معارك قضائية طويلة عندما ضاقت به ذرعا بملاحقته لها والصور المسيئة التي كان ينشرها في مختلف وسائل الإعلام الأمريكية خاصة بعد اغتيال زوجها (جون كندي) وعلاقتها مع الملياردير الشهير (أوناسيس) فضلا عن قصته مع نجم السينما الامريكية في السبعينات (مارلين براندو) الذي تعامل معه بعنف وتبقى القصة الأكثر درامية هي التي أنهت حياة الأميرة البريطانية ديانا أشهر ضحايا مصوري (الباباراتزي) عندما حاول سائق السيارة التي تقلها

في أحد أنفـاق باريس الفرار من مصوّري البابارازي فخرجت السيارة عن السيطرة وارتطمت بأحد أعمدة النفق.

الباباراتزي ومشاهير الرياضة

وفي العشـرية الاخيرة اشـتهر المصور الايطالـي «فابريزيو كورونـا بابـرز» بصـوره الفاضحـة التـي انتشـرت فـي إيطاليا وأوروبـا عامة فقد التقط صورا مثيـرة لرئيس الوزراء الإيطالي وصاحـب مملكة الإعـلام الضخمة ورئيس فريـق جوفنتوس الإيطالي سـلفيو برلوسـكوني،و عرفت بفضيحـة فالاتو بولي VALLETTOPOLI كما لم يفلت نجوم كرة القدم من لصوصيته ومنهم فرانشيسـكو توتي واندريا بيرلو وقد يكون هو من جعل البابارازي رياضيـا بامتياز وجعل مـن الرياضيين مادة إعلامية مثيرة بعيدا عن المباريات الرياضية والملاعب فركزت الصور على الحياة الخاصة والشـخصية أكثر مـن تركيزها على الأداء فوق الميدان وعاش اللاعب الأرجنتيني دياغو مارادونا أوقاتا صعبة في إيطاليا عندما لاحقته كاميرات الباباراتزي في نابولي وعرضته لمسـائلات قضائية واجتماعية ولم تتركه حتى عندما توقـف عـن اللعب وقـد أصبحت حياتـه الخاصة مادة دسـمة للصحافـة الصفراء وإعلام الترفيه فـزادت في نجوميته وأثرت فـي حالتـه النفسـية ويتواصـل هذا الفعـل الإعلامـي الفاضح بقصص إخبارية صفراء تتناول مشـاهير الكرة وتنشـر صورهم في بيوتهم مقتحمة خصوصياتهم الشخصية

فلا ينجو اللاعب البرتغالي كريستيانو رونالدو من ملاحقة لحياته الخاصة وصور الإجازات والأحداث الاجتماعية والأمر ذاته يتكرر وإن بأشكال مختلفة مع ليونيل ميسي وكيليان مبابي وقضية التحرش والعلاقات العاطفية لنيمار وجونيور ولامين يامال وغيرها ونتابع اليوم نوعا إضافيا جديدا لصور الباباراتزي المعدل بالذكاء الاصطناعي وهي تقليعة مستحدثة يقينا ستزيد في الطين بلة.

الأخبار المفبركة والمزيفة « الفايك نيوز»

لم يكن الخبر المزيف والمفبرك حكرا على الراهن الحالي ومنحصرا في هذه الأزمنة فقط بل منذ القديم تناقل الناس الأخبار المضللة والمغالطة للحقيقة لكن كان التأثير محدودا في الزمان والمكان، وبانتشار وسائل الاتصال الحديثة وتطور تكنولوجية المعلومات من خلال منصات التواصل الاجتماعي ازداد التدفق والسرعة عبر شبكة الأنترنت فلم تترك للناس الوقت الكافي للتحقق من هذا الكم الهائل من الأخبار وتدقيق صحتها، مما أفرز نتائج وأضرارا لم يكن لأحد أن يتوقعها بما في ذلك صنّاعها ومؤلفوها أنفسهم ما جعل عالم النفس الأمريكي كيث آبلو يؤكد على ترابط السلوك السياسي والاجتماعي والنفسي مع الظواهر الإعلامية والسياسية من جهة ومع التلاعب النفسي والإدراك من جهة أخرى.

فتحدث شـارحا تأثيـر الإعلام في تشـكيل الوعي الجمعي مـن خلال جعل الناس يصدّقون تلقائيا الأخبار الكاذبة بطريقة – التحيـز التأكيـدي – CONFIRMATION BIAS وهـو الميل إلـى البحث عن المعلومة وتفسـيرها وتذكّرها لتأكيد معتقد أو آراء مسبقة أو التجاهل أو التقليل من شأن ما يناقضها، فيتناول الناس الأخبار المفبركة بانتقاء ثم يساهمون في نشرها مصدقين بما يتماشـى مـع قناعاتهم ويرفضون مـا يعارضها حتى لو كان حقيقيـا والخبـر الكاذب فـور انتشـاره يجد أنصارا يشـاركونه بسـرعة دون التحقـق لأنهم أرادوا له أن يكـون صحيحا تخدم ذلك منصات التواصل الاجتماعي وسـرعة وكثافة الشـبكات الاجتماعيـة التي سـلبت الوقـت الكافي للتحقق مـن الأخبار الكاذبة ففي الماضي كانت صناعة الأخبار والقصص الخيالية تحدث بوتيرة بطيئة الانتشـار تستغرق سـنينا طويلة لتصل إلى المدى الذي يؤثر في مجموعات كبيرة من البشر كي يغير شيئا ويؤثر في الأفكار والآراء والتوجهات والطبائع.

وبفضـل الرئيس الأمريكـي دونالد ترامـب أصبحت عبارة الأخبار المفبركة (فايكنيوز) واسـعة الانتشار فمنذ عامه الأول لفترتـه الرئاسـية الأولـى 2017– 2021 كـرر العبـارة خلال تغريداتـه 196 مـرة متهجمـا على وسـائل الإعـلام أو في رده على الأخبار التي لا يتفق معها ويصفها بالمعادية له.

ولشـدة وعي الحكومات الغربية بخطورة الأخبار المفبركة التي تهدد أمنها القومي أنشأت وحدات خاصة في مجال الأمن الوطنـي لمواجهتها وصعّدت الضغط على الشـركات المالكة لمنصات التواصل الاجتماعي والتي تجني أرباحا طائلة.

وفـي ديسـمبر 2017 وجهـت لإدارة الفايسـبوك انتقادات كشـفت علـى فضيحـة كبـرى تعلقـت بنشـره الأخبـار الزائفة إثـر التقريـر الـذي نشـرته شـركة التحليلات «جمب شـوت» JUMPSHOT وأدانته كموزع رئيسي للأخبار الزائفة والمفبركة والمنحـازة، وكشـف التقريـر عن بيـع إدارة الفيسـبوك بيانات تصفح المسـتخدمين وقدمتهـا إلى مؤسسـات تجارية عالمية أشـارت إلـى أن ٪70 من الزيـارات موجهة للمواقـع الوهمية و٪30 فقط للمواقع الإخبارية المهنية لذلك نشّـط الفايسبوك تعاملـه مـع شـركات متخصصـة فـي مراجعـة الحقائـق مثـل «سـنوبس» و «أيه. بي. سـي نيوز» و «اسوشـيتد برس» للتأكد مـن مصداقية القصـص إثـر الانتخابات الأمريكيـة في2016 علـى أنهـا نشـرت أخبـارا مفبركة ودعايـة سياسـية وتوجهت لإنشاء برنامج التحقق من الأخبار

IFCN.NETWORK FACT-CHECKING PROGRAM

للحـد مـن المحتوى المشـكوك فيه عبـر الـذكاء الاصطناعي وبلاغات المستخدمين

لكـن ذلـك لم يحـل المشـكل بـل بقيت مسـألة الشـفافية والجدل حولها قائما والاتهامات مواصلة بما أن العمل يستمر بنظـام التوصيـة والخوارزميـات التي تفضّل المحتـوى المثير للجدل الـذي يضخم المحتوى الانفعالي والمسـتقطب وأكد خبـراء التكنولوجيـا الحديثة على أن المشـكل معقد في الحد من انتشـار الأخبـار الزائفـة لطبيعـة المنصة نفسـها التي تقوم خوارزمياتهـا علـى تحفيـز التفاعـل لا التحقق مـن المضمون والمحتـوى المثير للغضـب أو الخوف أو الفضول و هو الذي يحظـى بأكبر قدر من الانتشـار مقابل محدوديـة وبطء التدقيق البشـرى إلى جانب تداول هذه الأخبار فـي دوائر مجموعات مغلقة في الوقت الذي يقدم الفايسـبوك نفسـه كوسيط محايد، نـراه فـي الحقيقـة يتحكم فـي خوارزميات التوصيـة ما يجعل المنصة فاعلا سياسـيا واجتماعيا أكثر من كونها مجرد وسـيلة تواصـل ويبقـى إجـراء مقاومة الأخبـار الزائفة شـكليا لا أكثر لطبيعـة النظام الاقتصـادي للمنصة القائم علـى نفس العناصر التي تغذي الفوضى الإعلامية من جذب وتفاعل وتأثير سـريع في الوعي الجمعي.

الإثارة و (البوز)

في ظـل الفوضـى الشـاملة التي عمـت البلاد والعبـاد بعد الثـورة ومنهـا الفوضـى الإعلامية اكتسـح الفضـاء الإعلامي مصطلـح جديـد عـرف (بالبـوز) و الترند في وسـائل الإعلام

وأصبحت المادة الإعلامية الأكثر إقبالا هي الأكثر سطحية وتفاهة منحت الشهرة والانتشار لنكرات يقدمون وجهات نظرهم على المنابر الإعلامية التي تخلو من المضامين و العمق الإنساني والأخلاقي يطلقون العنان للإيحاءات اللاأخلاقية والسب والشتم والتحريض والتفرقة و تغذية الصراعات والعداوات تحت غطاء حرية الرأي والتعبير بهدف تحقيق أعلى نسب المشاهدة و الأرباح عن طريق لعبة روّج لها الصحفي الأمريكي المثير للجدل والاستفزاز (ديفد بوز).

وهو كاتب ليبرالي ولد في 1953 وزاول النشر في صحف عديدة مثل (لوس أنجلس نيوز) و(نيويورك تايمز) و(وال ستريت جورنال) و(واشنطن بوسط) و(لوس أنجلس تايمز) و(ناشيونال نيوز) وكان ضيفا دائما في البرامج التلفزيونية والإذاعية الأمريكية مثل إذاعات (فوكس نيوز) و(بي بي سي) و(صوت أمريكا) وغيرها ينظّر ويطالب بإضفاء الطابع القانوني على المخدرات وترك الاختيار المجتمعي لمن يريد أن يتعلم أو لا يفعل وبعد الثورة انخرط الإعلام التونسي ومنه الرياضي في هذه الفوضى التي أصابت المتلقي بحالة من التشويش والضبابية في استقاء المعلومة وتحديد المواقف وركّزت وسائل الإعلام على خلق محتوى مثير للجدل يتفاعل معه الجمهور ويردده فيصبح –تراندا – أي رائجا وشائعا على أوسع نطاق لمدة أطول من المدة التي يستغرقها

البوز باستمرار التفاعل والمشاركة على المنصات الاجتماعية واشتد الانخراط في دائرة العبث بأن كثفت وسائل الإعلام الجديدة في تكريس الأخبار المفبركة والمثيرة للجدل في الإعلام عموما والإعلام الرياضي خصوصا واللعب على مشاعر الجمهور وحماسه وأنصار الأندية الرياضية وجماهيرها إلى أن تحول الى عنف معنوي ومادي يخرج عن السيطرة ويذهب في اتجاهات خطيرة على الأفراد والمعدات والمنشآت والنظام العام والأمن القومي.

الفصل الثالث

أزمات الإدارة واللولبيات

1. الجريء جيشه لا يرتاح

لم تكن الفترة التي قضاها وديع الجري على رأس الجامعة التونسية لكرة القدم مستقرة بالمرة وعرفت الكثير من التجاذبات والصراعات والعداوات والاتهام باختطاف الجامعة والاستبداد في الإدارة والقرار وضاعف من حدة التوتر بأن خاض معارك متواصلة مع العديد من الجهات والشخصيات، أبرزها معركته الشهيرة مع وزير الشباب والرياضة طارق ذياب عقب المشاركة المخيبة للآمال للمنتخب التونسي في كأس إفريقيا 2013 ومطالبة الشارع الرياضي بالمحاسبة وقتها، وجّه الجريء رسالة تظلم إلى رئيس حركة النهضة، راشد الغنوشي، يطالب بوضع حد لمضايقات وزير الرياضة، متهمًا إياه بمحاولة التدخل في شؤون الجامعة وعرقلة المنتخب الوطني ليرد كاتب الدولة لدى وزير الرياضة، هشام بن جامع، أن تصريحات رئيس الجامعة فرقعة إعلامية تهدف إلى إلهاء الرأي العام الرياضي عن الأسباب الحقيقية للخروج المبكر من كأس إفريقيا وكشف هشام بن جامع أن الوزارة طلبت تقريرًا مفصلاً حول المشاركة في البطولة والتصرف المالي،

إلا أن التقريـر الـذي ورد كان مقتضبًا وغير واف اتهمت وزارة الشـباب والرياضة الجامعة التونسية لكرة القدم بالديكتاتورية وقلة الشفافية في التسيير المالي، وردت الجامعة باتهام الوزارة بمحاولة السيطرة والهيمنة على شؤونها، وهو أمر تمنعه قوانين الفيفـا التـي تحظـر التدخل السياسـي فـي الرياضة لـم تقتصر معـارك وديع الجـري على ذلك فقـط، بل أشـعل الصراع من جديد مع الوزيرة ماجدولين الشارني من خلال بلاغ صادر في 14 فيفـري 2018 أدان نية الوزيـرة طباعة 120 تذكرة في كل مباراة من مباريات بطولة الرابطة المحترفة الأولى والمباريات الدوليـة، وترويجها بمعرفتها واعتبـرت الجامعة ذلك تجاوزًا للقانـون وتدخـلًا فـي تسـيير الهيـاكل الرياضيـة، ودعتها إلى التركيز على مهامها الرئيسـية كتحسـين البنية التحتية، والعناية بالجمعيات، وتنقيح التشريعات الرياضية التي لم تعد تتماشى مع الواقـع الراهن واتهمـت الجامعة الـوزارة بتعطيل الإفراج عـن الأزيـاء الرسـمية للمنتخب الوطنـي المشـارك في كأس العالم روسيا 2018، عبر تعقيدات من قبل المصالح الديوانية وخلال جلسـة مساءلة لوزيرة الشباب والرياضة يوم 6 جويلية 2018 أمـام مجلـس النـواب، أشـارت الوزيرة إلـى أن تكلفة مشـاركة المنتخب الوطني لكرة القدم فـي تصفيات ونهائيات كأس العالـم روسـيا 2018 بلغت 4.2 مليـون دينار، في حين كانـت مسـاهمة الـوزارة في حـدود 573 ألف دينـار رد وديع

الجري في أول مناسبة، خلال الندوة الصحفية لتقديم مدرب المنتخب الوطني الجديد فوزي البنزرتي، ونفى الأرقام التي قدمتها الوزيرة، مؤكدًا أن تكاليف التحضيرات لم تتجاوز 75 ألف دينار، وأن تكاليف المشاركة في مونديال روسيا 2018 كانت في حدود 170 ألف دينار وأضاف الجري أن الأربعة ملايين دينار التي أعلنت عنها الوزيرة لم تستفد منها الجامعة، مشيرًا إلى أن المنحة السنوية التي تقدمها الوزارة للجامعة والبالغة مليون دينار قد تم تخفيضها إلى النصف خلال سنة 2018، بينما تبلغ أجور الإطار الفني فقط حوالي مليون و68 ألف دينار المعركة كانت حامية الوطيس بين رئيس الجامعة والوزير كمال دقيش حيث أصدر الجري رسالة رسمية بتاريخ 21 جويلية 2021 موجهة إلى رئيس الحكومة ووزير الداخلية والرأي العام، ردًّا على تصريح الوزير الذي اتهمه بتعمد حرمان الجمهور الرياضي التونسي من مشاهدة مباراة المنتخب الوطني ضد منتخب زامبيا أورد الجريء في رسالته أنَّه من غير المعقول أن يتوجه وزير تونسي إلى الشعب بمثل هذه الادعاءات والاتهامات الخطيرة والباطلة ضد مواطن تونسي، ويحرّض عليه عبر وسيلة إعلامية، وأشار في ذات الرسالة إلى احتمال تعرضه لفبركة ملف قضائي أصل الخلاف يعود إلى مطالبة الاتحاد الإفريقي للجامعة التونسية لكرة القدم بتوفير وثيقة من الهيئات الصحية، والتي قال وديع الجري إنها وصلت

متأخرة، إثر توجه الاتحاد الإفريقي لتحديد إقامة المباراة دون جمهـور واعتبرت الـوزارة في بلاغات متتالية يـوم المباراة أن حضـور الجمهور فـي تونس مسـموح به وفق طاقة اسـتيعابية محـددة وأجريت المباراة دون حضـور جمهور لتجنب فرض عقوبات من الاتحاد الإفريقي لكرة القدم (الكاف) أشهر وديع الجريء أسـلحته على أغلب وزراء الشباب والرياضة ورفض التعامـل معهم الا كمـا يرى، وهدد باللجوء إلـى الفيفا التي لا تسمح بتدخل السياسي بالرياضي وناور بذلك الوزارة بدورها لم تقبل تعنته ورفض التنسـيق معهـا وأصبحت المعركة معلنة على منابر الإعلام والشـارع الرياضي فـي 25 أكتوبر 2023، تم إيقـاف وديع الجري، رئيس الجامعة التونسـية لكرة القدم، بمقتضى بطاقة جلب صادرة بحقه على خلفية شـكاية تقدمت بها وزارة الشباب والرياضة.

واسـتمرت رئاسـة وديع الجـريء للجامعة التونسـية لكرة القـدم مـدة 11 عامًـا مـن 2012 إلـى 2023، وكانـت فتـرة مشـحونة بالصراعات والمعارك والمناورات، الخاسـر الأكبر فيها كرة القدم التونسية

2. هلال الشابة.. ما ضاع حق وراءه طالب

كان الموقـف مذهـلا غريبـا يحمـل رمزيـة قوية فـي درجة الإحسـاس بالغبن والظلم سابقة لم تعرفها كرة القدم التونسية عندما نفذت إجراءات وعقوبات على الهلال الرياضي الشابي

فيها الكثير من التنكيل والتشـفّي، والخلاف الشـخصي تحول إلـى تمثيـل بمدينة كاملة تشـبه كل المـدن التونسـية فريق كرة القدم عندهـا ملاذ من متاعب الحياة الهلال الرياضي الشـابي الذي تأسـس عـام 1960 في مدينة الشـابة من ولايـة المهدية عرف قصة فريدة سـتبقى راسخة في تاريخ كرة القدم التونسية لا يمكـن نسـيانها القصـة بـدأت بمناوشـات علـى منصـات التواصـل الاجتماعي بين رئيس هلال الشـابة توفيق المكشـر ورئيس الجامعة التونسية لكرة القدم وديع الجريء ففي موسم 2019-2020 عرف هلال الشـابة تميزاً لافتـاً بحصوله على المركز الثامن في مسابقة الرابطة المحترفة الأولى وإثر جائحة كوفيـد 19 عرف هلال الشـابة مثلها مثل كل الأندية التونسـية صعوبـات ماليـة أدت إلـى التأخـر فـي الإيفـاء بديونـه تجـاه الجامعـة ترتب عليه خطايا تأخير فرضت عليه مع أندية أخرى الأمـر الذي جعـل رئيس هـلال الشـابة توفيق المكشـر يوجه انتقـادات لرئيس الجامعة وديع الجـريء حول الغموض وقلة الشـفافية المالية للجامعة التـي أصدرت في 17 أكتوبر 2020 قراراً تأديبياً استثنائياً يقضي بتجميد نشاط الهلال الشابي لعدم خـلاص ديونه في الآجال، مـا يعني حل النادي وتدحرجه إلى رابطة الهواة اشتعلت حرب على منصات التواصل الاجتماعي يتهـم خلالها كل طرف الآخر وينعته بأبشـع الأوصاف، يتظلم الهـلال الشـابي لـدى محكمـة التحكيـم الرياضـي TAS بعد

رفـض المحكمة الإدارية إيقـاف القرار يوم 30 نوفمبر 2020 ترفض «الطاس» إيقاف تنفيذ قرار الجامعة لاسـتكمال تحقيق الموضوع وفي الأثناء عرفت مدينة المهدية حالة من الاحتقان تجـاوزت الجمهـور الرياضـي، لتمتد إلـى كافة سـكان مدينة الشـابة ممـا أدى إلى اسـتقالة رئيس البلدية وأخـذ قرار رمزي احتجاجـي قـوي بتنظيـم هجـرة جماعيـة لأحباء النـادي عبر مراكب الصيد من ميناء الشابة يوم 12 نوفمبر 2020.

يـوم 1 ديسـمبر 2020 نفـذ الأحبـاء وقفـة احتجاجية أمام مقـر الجامعة وانتهت بتدخل قوات الأمـن وصدامات امتدت إلى مدينة الشـابة، وتواصلت إلى 5 ديسمبر 2020 بانسحاب القـوات الأمنيـة وتولـي الجيش التونسـي تأميـن المدينة وفي زوريـخ أمـام مقـر الفيفـا بسويسـرا نفـذ أنصـار الشـابة وقفـة احتجاجيـة في الوقـت الذي كانت فيـه مباريـات البطولة تقام علـى وتيـرة سـريعة مـن الموسـم 2020-2021 حيـث بلغ المعـدل ثـلاث مباريـات أسـبوعيا، والغريب أن بقيـة الأندية التونسـية بقيت على الحياد تراقب ولا تتدخل بالصلح وتهدئة الأجواء، وبقي الهلال الشـابي وحيداً يصارع الجامعة التي لم يرقها المطالبة بالتدقيق المالي حسب تقرير هيئة الرقابة المالية العام CGF لسنة 2018، وكما فعلت مع كل من أشار إلى ذلك من بعيد أو قريب.

احتج الهلال الشـابي بخطأٍ إجرائـي ارتكبته الجامعة حيث تقتضـي الإجـراءات القانونية للإيقـاف عقد جلسـة عامة قبل إصدار القرار، ولم يقع ذلك ليصبح إجراء الإيقاف لاغيا ونفى الجريء تهمة التهرب الجبائي ومغالطة مصالح الضرائب التي وجهها له توفيق المكشـر في وسـائل الإعلام رافعا في مناورة اسـتخدمها سـابقا مع الوزير طارق ذياب التهديـد بالفيفا التي ترفض تدخل السياسـة بالرياضة وقـد تحرم المنتخب الوطني مـن المشـاركة فـي المسـابقات الدولية فـي 9 جـوان 2021 أصـدرت – التاس – محكمة التحكيم الرياضي حكما ببطلان قـرار الجامعة بتجميد نشـاط الهلال الشـابي وأمـرت أن تدفع الجامعة التونسـية لكرة القدم ٪80 من مصاريف التقاضي مع خمسة آلاف فرنك سويسري تدفعها للهلال الشابي كمساهمة فـي رسـوم الدفاع في 11 سـبتمبر 2021، تقرر إعـادة الهلال الشـابي إلى أندية الرابطـة المحترفة الأولى لموسـم 2021– 2022 بعد موافقة الأندية على مقترح الجامعة بإعادتها خلال الجلسـة العامـة العادية لم تتوقف المعركة عنـد هذا الحد، بل تواصل التوتر بمناسبة المباراة الأخيرة في الموسم بين الهلال الشـابي والنادي الإفريقي، بأن تقدم الهـلال بإثارة ضد تواجد يوسـف العلمي رئيس النادي الإفريقي بجانب دكة الاحتياط، رغم إحالة ملفه على لجنة التأديب بسـبب ما دونه حكم مباراة مسـتقبل سـليمان والنادي الإفريقي، ولم تصدر لجنة التأديب

بعـد قرارها معتمدة على الفصـل 31 من مجلة التأديب، الذي يعتبـر أن أي مسـير موقـوف آلياً عن النشـاط إلى صـدور قرار التأديب وطالب هلال الشـابة تطبيـق الفصل 45 وهزم النادي الإفريقـي إداريـاً فـي مبـاراة 13 أفريـل 2022 لكـن الرابطـة الوطنية لكرة القدم المحترفة رفضت الإثارة المقدمة من هلال الشابة بتاريخ 21 أفريل 2022 وأكدت لجنة الاستئنافات قرار الرابطـة ليتجه هلال الشـابة من جديد إلـى المحكمة الرياضية الدوليـة، التـي أصـدرت يـوم 29 سـبتمبر 2022 قـرار إعادة الشـابة إلى مصـاف النخبـة وأنديـة الرابطة المحترفـة الأولى وأعلن هلال الشابة على موقعه الرسمي يوم 27 مارس 2023 أن محكمـة التحكيم الرياضية أصدرت حكمـاً نهائياً لصالحه بإبطـال قـرار لجنة الاسـتئناف في 8 جـوان 2022 والتصريح بفـوز جزائي علـى النادي الإفريقـي بنتيجـة 2-0 ومنح نقاط الفـوز لهـلال الشـابة وإلزام الجامعـة بدفع ثلاثـة آلاف فرنك سويسـري للهلال، وخـلاص مصاريف التقاضـي التي بلغت حوالي 50 ألف فرنك سويسـري، فاز الهلال الرياضي الشابي بصراعه الطويل مع جامعة كرة القدم وأزاح عن نفسه المظلمة والتعسـف في استعمال السـلطة، معركة مريرة ومضنية، وقف خلالها ضد الريح وحيدا.

استنزفت المعركة الشجاعة قوى هلال الشابة ولم يسطع التركيز على تنظيم صفوفه وتقوية فريقه على المستطيل الأخضر، ونزل في الأخير إلى الدرجة الثانية كما أرادوا

تلك قصة هلال الشابة مع الجامعة، قصة ستبقى نقطة سوداء يخجل منها كل رياضي يؤمن بالجدارة والاستحقاق ونبل المنافسة العادلة، نذكّر بها حتى لا تتكرر مثل هذه المهازل في الكرة التونسية.

3. جامعة الكرة واللجنة الأولمبية

لم تكن علاقة الجامعة التونسية لكرة القدم باللجنة الوطنية الأولمبية التونسية أيام وديع الجري من 2012 إلى 2023 بأفضل حال من علاقة الجامعة بوزارة الشباب والرياضة

من المعلوم أن القانون عدد 11 لسنة 1995 المؤرخ في 6 فيفري 1995 المتعلق بالهياكل الرياضية والأمر الحكومي عدد 626 لسنة 2017 كذلك الأنظمة الأساسية للجنة الأولمبية الوطنية المنخرطة في هياكل اللجنة الأولمبية الدولية التي تؤكد في المادة الثالثة من النظام الأساسي ، يسهر على تطبيق المبادئ الأولمبية ومقتضيات الميثاق الأولمبي من قبل الجامعات الرياضية الأعضاء فيها، ومنها جامعة كرة القدم حيث يمكن للجنة الأولمبية الوطنية في حال خرق أي جامعة رياضية قواعد النزاهة والحياد الرياضي أن توجه لها تنبيها أو تجمد عضويتها كونها مرجع النظر الأخلاقي والأولمبي

لـكل الجامعات الرياضية وهي السـلطة العليـا من حيث القيم والانضباط والحوكمة الرياضية

لكـن هذه العلاقة على مر سـنوات رئاسـة الجريء لم تكن متينة ومنسجمة فلم نظفر بأية مؤشرات على ما يمكن أن يبذل من جهود تنسّـق فيما بينها وتنجز المشـاريع المشـتركة وتنظم الأحداث الوطنية والدولية في انسـجام وتكامل ودفع للجهود في نفس الاتجاه

بل شـاب العلاقات فـي أغلب الأحيان البـرود وفي فترات التنافـر والتباعـد وحتـى الصراع والصـدام، فـي الوقت الذي كان فـي الإمكان تنفيذ الكثيـر مما يعود على رياضة التونسـية بالمنفعة

ولعـل أقوى صدام طرأ على هذه العلاقة وكشـف تصدعها واضحا وتابعته وسائل الإعلام في محطاته وتطوراته وفصول إحراج كل منهما للآخر وإظهار تفوق أحدهما على الآخر

عندمـا أحالـت اللجنـة الوطنيـة الأولمبيـة رئيـس الجامعة التونسـية لكـرة القدم وديـع الجريء علـى لجنة القيـم التابعة لها بتهمـة اختراق الميثاق الأولمبي وترويجه لتصريحات تثير النعرات الجهوية والطبقية إثر الشكاية التي تقدمت بها جمعية هلال الشابة

وبتاريخ 5 جانفـي 2021، أصدرت اللجنة قرارها بتجميد نشـاط رئيـس جامعة كرة القـدم لمدة أربع سـنوات ومنعه من

ممارسة أي نشاط رياضي أو إداري أو تمثيلي داخل الهياكل الرياضية

واعتبرت اللجنة أن الجريء ارتكب مخالفات تمس من مبادئ الميثاق الأولمبي

العقوبة فجرت لغطا قانونيا كبيرا بين من يعتبر أن قرار اللجنة الوطنية التونسية من صلاحيتها إذ هي تسهر على تطبيق الميثاق الأولمبي والقيم الأولمبية على كل الجامعات الرياضية بدون استثناء، فتسلط العقوبة على من يتجاوز وتفرض الانضباط الأولمبي على كل الناشطين والمنتمين لهذه المجالات مرجع نظرها وسلطتها موضحة وأن القرار يخص الشخص وليس الهيكل

في حين تبنّى فريق آخر تبنى موقف رئيس الجامعة الذي رفض القرار وصعد في اتجاه عكس الهجوم بأن اعتبر أن اللجنة الأولمبية فاقدة لهذه الصلاحية وقرارها ليس له أثر قانوني، وأن الاتحاد الدولي للكرة القدم والكونفدرالية الإفريقية إثر مراسلتين بتاريخ 23 نوفمبر 2020 و8 ديسمبر 2020 أكدا عدم وجود أي أثر وتداعيات وطنية ودولية لعقوبة اللجنة الأولمبية

أكد هذا الصراع أن العلاقات ضمن الهيكل الرياضة عقدت الوضع أكثر من غيرها وساهمت بقدر وفير في الانفلات العام لقطاع الرياضة في خضم معارك تدور حول النفوذ والسيطرة

واتساع مجالات الهيمنة على حساب الآخر تحت أنظار الرأي العام الذي زادت حيرته في واقع الرياضة التونسية المرتهن بين مراكز نفـوذ متناقضة ومتنافرة وأحيانا متحاربة بكل الأسـلحة المتاحة

4. التلاعب بالنتائج

تفشّـى فيروس الفسـاد في الكـرة التونسـية وتغلغل في كل هياكلهـا وأروقتهـا ورفوفهـا وملفّاتهـا وقـد امتـدّت جغرافيـا فضائحها فوصلت إلى ما وراء البحار وباتت المحاكم الأجنبية تنظر في قضايا متعلقة بالرياضة التونسية

حيث نظر القضاء الفرنسي في شهر سبتمبر 2019 في قضية رهانـات غير مشـروعة في موقع رهانـات إلكترونية، إذ أوقف القاضي الفرنسـي ثلاثة تونسيين اشـتُبه بتلاعبهم بنتيجة مباراة اتحاد بنقردان ونجم المتلوي، التي أقيمت في 7 أفريل 2019 وانتهت بفوز اتحاد بنقردان بهدف وحيد من ضربة جزاء

تفيـد المعلومـات أن المبلغ الذي وضعـه المتهمون الثلاثة بلغ 33 ألف أورو، وهو مبلغ قياسي غير مسبوق في مباراة من البطولة التونسية

أكـدت شـركة الرهانـات سـحب المبـاراة من الرهـان قبل إيقـاف المتراهنيـن. وقد أشـار تقريـر إعلامي إلـى أن من بين الموقوفين أحد أقارب شـخصية قيادية فـي جامعة كرة القدم،

واعتـرف أحد المتهميـن بأنه كان يعلم مسـبقًا بنتيجة المباراة، الأمر الذي جعله يخصص مبلغًا كبيرًا للرهان

وفـي مناسـبة أخـرى، رفضـت شـركة الرهانـات الرياضية الفرنسية

Autorité Nationale des Jeux Français

إدراج مباراة اتحاد بنقردان والملعب التونسـي، التي دارت يوم 7 أفريل 2021، ضمن جدول الرهانات

بعد يومين من مباراة اتحاد بنقردان والشـبيبة القيروانية التي أقيمـت يـوم 3 أفريـل 2021 ضمن بطولـة الرابطـة المحترفة الأولـى، والتـي أثـارت شـكوكًا فـي الشـارع الرياضـي حول نتيجتها (3-1)، أصدرت شـركة الرهانات الرياضية الفرنسية قرارًا خاصًا بهذا الشأن

فـاز اتحاد بنقـردان خارج قواعده وأصدرت شـركة الرهان الرياضي

بروموكـوت بلاغًـا توضيحيًـا بخصـوص المبـاراة، حيث حامت الشـكوك حـول رهانات مرتفعـة وغير عاديـة، ومبالغ كبيرة على نتيجة هذه المباراة بشـكل لا يتناسب مع المباريات السابقة التي جمعت الناديين

تـم إلغـاء الرهانات علـى المباراة قبـل بدايتهـا، لكن، كما يقـول البلاغ، تعذّر اعتمـاد ذلك، ولم يتم إبـلاغ الجمهور إلا

فـي الدقيقة 64 من المباراة، حين كانـت النتيجة 2-1 لصالح اتحاد بنقردان

وتضـع الشـركة نفسـها تحـت ذمـة السـلطات المختصـة لتزويدها بكافة المعطيات ومساعدتها في التحقيق

وقائع واضحة تؤكد بما لا يرقى إليه الشـك أن المناخ العام للكرة التونسـية غير سـليم وأن المحرك الرئيسـي للفساد يقيم في مكاتب وأروقة الأجهزة التي تدير اللعبة وليس خارجها

5. أزمة الثقة تتجدد بين الجامعة والأندية

اشتدت الأزمة في كرة القدم التونسية وباتت كل المؤشرات تشير إلى نتائج لا تبشر بالخير.

تمـر الرياضـة التونسـية بفتـرات صعبـة جعلتهـا تنزلق في مناسـبات عديـدة إلـى العنـف والشـغب، كمـا شـهد موسـم 2024-2025 تجـاوزات خطيرة فـي الإدارة والتنظيم بلغت حدّ الفسـاد الواضح، بفعل مجموعات نفوذ أغرقت المنافسـة فـي الاحتجاجـات واتهام الجامعـة بعدم الحيـاد والتمييز بين الأندية.

ورغـم تنديد الأندية المتواصل بقـرارات الجامعة واتهامها بالظلـم، فإنها تنسـى أنها هي من صادق علـى القوانين التي لا تخدم إلا مصالح ضيقة.

يـوم 25 جانفـي 2025 منحـت الأنديـة أصواتهـا لمكتب جامعـي جديـد، لكنها سـارعت إلـى انتقـاده ومحاصرته منذ الأشـهر الأولـى، مسـتعملة أسـاليب المنـاورة والضغـط عبر نفـوذ ممثليها للحصـول على امتيازات، وهـو ما ضرب عدالة المسابقة في العمق

التحكيـم بـدوره عـرف انحـدارًا غيـر مسـبوق مـع تكـرار الأخطاء الفاضحـة وغياب الحزم في معالجتها، فاهتزت الثقة بهياكله وبالجامعـة. كما زادت المقاطـع التلفزيونية والبرامج الرياضية الوضع سوءًا بتسليط الضوء على الأخطاء وتوظيفها، فيما كشـفت المنابر الإعلامية تجاوزات وفضائح عمّقت أزمة القطاع

إيقـاف رئيس الجامعة التونسـية لكرة القـدم وديع الجريء يـوم 25 أكتوبر 2023 مثّل محطـة فارقة صلب مرحلة عرفت بالتجاذبات والصراعات مع وزارة الإشراف والأندية

عيّنـت الفيفـا هيئـة تسـييرية انتقاليـة برئاسـة كمـال إيدير، ثـم عُقدت جلسـة عامـة خارقة للعـادة غيّرت بعض الشـروط القانونية لقواعد الترشح بعد مطالبة الشارع الرياضي بمشاركة اللاعبيـن الدوليين الذين يمكن أن يسـاهموا فـي تطوير اللعبة ورفـع الحواجز القانونيـة التي كانت تحـول دون ذلك وبفعل فاعل.

لتفـوز لاحقًـا قائمـة معـز الناصـري برئاسـة الجامعـة فـي انتخابـات 25 جانفـي 2025 ولـم تضـم لاعبا دوليـا واحدا، وهو ما جعل من الأفكار التي تم مناقشتها في الفضاء الرياضي سـابقا فـي واد ونتائج الانتخابات في واد ثـان بما يعبر عن قوة تأثير الإدارة الرياضية العميقة

وقد أثارت عودة نائب الرئيس والعضو السـابق الذي أعلن انسـحابه مـن المكتب الجامعـي القديم ثم تراجـع عن قراره، جدلًا واسعًا

لقد وجد المكتب الجامعي الجديد نفسه مبكرًا أمام اختبار صعـب إثـر حادثة يوسـف البلايلي فـي مـارس 2025، حين أثـارت حركة غيـر أخلاقية جدلًا كبيرًا تسـببت في عاصفة من الانتقادات.

اسـتدعاء اللاعـب قصد المسـاءلة وإصدار العقوبـة لم ينه الجـدل، بل كشـف عـن هشاشـة إدارة الأزمـات وضعف ثقة الجمهور

انفجـر النقـاش فـي المنابـر الإعلاميـة، وبـرزت اتهامات مباشرة بعدم الحياد وخدمة مصالح ضيقة، مع انحدار مستوى الخطـاب إلى الصـراخ والاتهامات المتبادلـة والكلام البذيء على الهواء. مشهد يتكرر باستمرار ويعكس عمق أزمة الرياضة والإعلام في تونس

6. المكتب الجامعي الجديد.. والاختبار الصعب

أحـد المحطات الصعبـة التي مرت بها كرة القدم التونسـية كانـت إيقاف رئيس جامعـة كرة القدم الدكتـور وديع الجريء يـوم 25 أكتوبر 2023 على خلفيـة إبرام عقد مخالف للقانون مع المدير الفني

لتنتهي فترة رئاسة الجريء وما عرفته من تجاذبات تطورت إلى معاركة مع وزارة الإشراف والأندية والشخصيات

والمراحل التي قطعت للوصول إلى انتخاب مكتب جامعي جديـد أقرب إلى حلقات مسلسـل ممل إخراجـه رديء، ترى عرائـس لا يظهر في المشـهد مـن يحركها وتشـعر بالرغم من ذلك بحضوره القوي

عينـت الفيفا هيئة تسـييرية انتقالية برئاسـة كمـال إيدير بعد أن خشـينا أن يقـع تعييـن شـخصية أجنبية، ولو تمت لعاشـت الرياضة التونسـية حالة إهانة ما بعدها إهانة، اقرارا فاضحا من أعلى مؤسسـة رياضية دوليـة أننا غير قادرين علـى إدارة كرتنا وخلافاتنا أساسا

بـدأت المرحلة الأولى بفتح باب الترشـح، وتقدمت ثلاث قائمات، أسقطتها اللجنة المستقلة للانتخابات جميعا

بعض الملاحظين علقوا بعدم وجاهة التبرير المتصل ببطاقة السوابق العدلية

سـقطت القائمات الثلاث وتم التوجه إلى دورة ثانية، وقبل ذلـك ظهر مقترح يقضي بتغيير القوانين التي تشـترط أن يكون المترشـحون لرئاسـة الجامعـة أو عضويـة المكتـب الجامعي بمسـتوى تعليمي لا يقـل عن بكالوريا زائد سـنتين في التعليم العالي، وعليه يجب تعديل القانون الداخلي للجامعة.

أقيمت الجلسـة العامة الخارقة للعادة ورُفع الشـرط بهدف الاشراك والاستفادة من خبرات اللاعبين القدامى

تقدمـت مـرة أخـرى ثـلاث قائمـات، وفـازت قائمـة معز الناصـري رئيـس اللجنـة الانتخابيـة التـي أسـقطت الثـلاث قائمات في الدورة السـابقة ولا نـدري إن كانت المصادفة هي التي تدخلت أم عوامل أخرى.

ولـم يكن فـي قائمـة الناصـري أي لاعب دولي سـابق في حين ضمت قائمة مترشـحة للسـباق الانتخابي لاعبين دوليين سابقين

اسـتلمت القائمـة الفائزة يـوم 25 جانفـي 2025 دفة قيادة الإدارة الرياضيـة وضمـن هـذه القائمـة نائب رئيـس الجامعة حسين جنيح عضو المكتب الجامعي السابق الذي تعرض إلى نقد لاذع وتمّ تحميله المسؤولية ومن معه في اخفاق المنتخب في كاس أمـم افريقيا 2023 وخروجه مـن الدور الأول وكان قـد أعلن قـراره بعدم الرجـوع إلى مسـؤوليات فـي المكاتب الجامعية القادمة وتراجع عن ذلك

عيّن المكتب الجامعي أعضاء الرابطة الوطنية المحترفة، وكثرت الاعتراضات والاحترازات، وكان السجال عاصفا حول اللقطة التي انتشرت بشكل واسع في منصات التواصل الاجتماعي بحركة لاعب الترجي الرياضي التونسي يوسف البلايلي غير الأخلاقية خلال مباراة ناديه مع شبيبة العمران يوم 12 مارس 2025 بعد تسجيله هدفا ولم يأخذ الحكم أي اجراء فجرّتْ سيلا من التعليقات على موقف الرابطة عندما لم يقنع ناطقها الرّسمي الجمهور الرياضي في أحد البرامج الرياضية

كانت اللقطة الحدث البارز خلال شهر كامل من الجولة 25 للرابطة المحترفة الأولى إلى استئناف البطولة في الجولة 26 بسبب الالتزامات القارية ومشاركات الأندية التونسية ومعسكر المنتخب التونسي مع مباراتين ضد ليبيريا ومالاوي

هذه الفترة المطولة نسبيا من المباراة الحدث والحركة الشهيرة حتى استئناف البطولة من جديد كانت أول اختبار للمكتب الجامعي وهياكله ليواجه القرارات الصعبة وشديدة الحساسية التي حظيت بزخم كبير في الساحة الرياضة إعلاما وشارعا رياضيا وطالت كل المتداخلين في اللعبة

فكانت الرابطة الوطنية المحترفة مطالبة بمواجهة الرأي العام الرياضي وأن تشرح للجميع وجهة نظرها وتثبت نزاهتها

وحسن التعامل مع الأزمات وتقنع برجاحة مواقفها وعدالة قراراتها وصلابة هياكلها وقوتها.

تم استدعاء البلايلي للمساءلة يوم 4 أفريل 2025 أمام لجنة الأخلاق والانضباط

وتأجل أخذ القرار إلى يوم 11 أفريل 2025 مراعاة لالتزامات اللاعب مع ناديه في مباراة الدور ربع النهائي لدوري أبطال إفريقيا يوم 8 أفريل 2025 أمام صن داونز الجنوب إفريقي

تحدثت بعض وسائل الإعلام عن تسريب من داخل اللجنة يفيد وجود خلاف بين الأعضاء بشأن العقوبة المناسبة

لتقرر جلسة 11 أفريل العقوبة، ويتمّ تثبيتها في قرار الاستئناف يوم 17 أفريل 2025 بإيقاف اللاعب بمباراتين وغرامة مالية

فتحت المنابر الإعلامية أبوابها على مصرعيها لإبداء الرأي والتعبير عن وجهات النظر وانفجرت المكاشفة وتوجيه الاتهامات

اتهم أحد الإعلاميين صراحة بعدم حياد البرامج والقنوات والمعدين والمقدمين والكرونيكارات وخدمتهم مصلحة من يدفعون

واشتعل النقاش في المنابر الإعلامية، وكشفت دون خجل الانتماءات الصريحة وتعالى الثلب والشتم واستعمل الكلام

النابـي البذيء على الهواء مباشـرة وأصبـح الوضع لا يحتمل ينبئ بما لا يحمد عقباه

المشهد ليس اسـتثناء عرضيا بل يتكرر مرات عديدة تلقائيا وعمدا. ومشهد الصوت العالي الأجش المجروح، ونبرة الأبح النشـاز المنكر، والرذاذ المتطاير والشـفاه الهـادرة المائلة إلى جنـب تفضح المرجعيـة الحقيقة للمتحدثيـن لحظة الانفلات والفوضى فتفضحهم وتكشف المستور

7. الصراعات تعصف بالهياكل الرياضية

فجّرت اسـتقالة نائب رئيس لجنة الاسـتئناف لدى الجامعة التونسـية لكـرة القـدم، نـادر قـدارة، فضيحـة مشـينة لتاريـخ الرياضـة التونسـية، حيـث ورد في نـص الاسـتقالة أن اللجنة غلبت انتماءاتها الشـخصية للأندية وعدم الاستقلالية وأوصى بالحرص على الاستقلالية، والسعي إلى تغليب تطبيق القانون على المصلحة الخاصة

وجاء نص الاستقالة على النحو التالي

«حيـث وعلى إثر ما أفضت إليه جلسـة 8 أفريل 2025 من قرارات متخذة من قبل اللجنة الوطنية للاستئناف، دون احترام الحدّ الأدنى من الموجبات القانونية والإجرائية، ودون السعي لتطبيق النصوص القانونية المسـتوجبة عند النظر في الملفات المعروضة عليها، موضوع تلك القرارات

وحيث تبيّن لي أن بعض أعضاء اللجنة قد غلّبوا انتماءاتهم الشخصية لبعض النوادي الرياضية على تطبيق القانون، وذلك بإحضارهم لنصوص قرارات جاهزة، مخطَّط لها من قبل خارج اللجنة، وفي غياب تام للاستقلالية

لهذا، ولكل هذه الأسباب، أتقدّم إليكم باستقالتي من عضوية اللجنة الوطنية للاستئناف، متمنّيًا لكم ولبقية أعضاء اللجنة الحرص على الاستقلالية، والسعي إلى تغليب تطبيق القانون على المصلحة الخاصة في كل القرارات اللاحقة»

نادر قدارة

وفي خضم ذلك، ناقشت البرامج الرياضية العديد من الإخلالات، من بينها لجوء إحدى اللجان إلى اعتماد التصويت عند اتخاذ قرار تأديبيّ، في حين أن المخالفة ثابتة والقانون واضح

8. ورقة التوت تسقط عن التحكيم التونسي

بين النظري والواقعي بون شاسع، وبين ما يجب أن يكون وما هو كائن مسافات بعيدة. تخلّف التحكيم التونسي عن مواكبة راهن القطاع في العالم القريب قبل البعيد

وإذ تُبنى وظيفة التحكيم الرياضي على العدالة والإنصاف والنزاهة والحياد، فإن قاضي الملاعب في تونس فقد الكثير

من السـمعة الحسـنة والاحترام الذي كان يحظى به – إلى حدّ ما – سابقًا

والعقـد الأخير أتى على آخر ورقة توتٍ للتحكيم التونسـي وأطـاح بها، وبانت عوراته في فضائح مدوية تُعرض في برامج تلفزيون القمامة

ومـن قطاع عُـرف بالسـرية والتكتم، إلى قصـص وفضائح علـى قارعـة البرامـج الرياضية التـي تتمعّش منهـا وتحقق بها نسب المشاهدة العالية الرخيصة

خسـر قطاع التحكيـم المصداقية، والثقة فـي أدائه، ونزاهة قضائـه، وعدالـة قراراتـه، وحيـاد تعاملـه، واسـتقلال مواقفه وأحكامه

وبـرزت الصراعات التي كانـت تُدار في السـرية التامة إلى الجمهور والرأي العام الرياضي

وتحـدث حـكّام عن حـكّام، وكشـفوا عن فضائـح تعلقت بالرشاوى والفساد وبيع وشراء الذمم

وحتى عندما حلّ الفار بالبطولة الوطنية، لم تنجُ مجموعات من الاتهام بالتلاعب وسوء توظيفه والاستفادة منه

على شاشـات التلفزيـون، تصـادم الحكام والمسـؤولون، وكشـف كل واحـد فضائـح الآخر، وذكّـروا بعضهـم البعض بتاريـخ مشـين ومخز وبالتلاعب الجوهري فـي نتائج أكثر من مباراة، وطفت على السطح أسئلة من قبيل

كيـف عيّن فلان لإدارة مبـاراة وأداء خدمة مدفوعة الأجر؟ وكيـف اتصـل برئيـس نادٍ ورجـل أعمـال لقضاء حاجـة له أو لإفراد عائلته؟

وقائمـة الخدمات المدفوعة الأجر لبعـض الحكام طويلة، يتصارع بها رجال قطاع التحكيم على العلن في برامج تسـتفيد من الفضائح لرفع المشاهدة وكشف الأسرار وهتك الأعراض ويتم هذا ويا للغرابة على مرأى ومسـمع الجميع، ولا تتحرك النيابـة العموميـة إلا نـادرًا، فيلحـق الضرر بالرياضة التونسـية وكرة القدم هي الخاسر في كل ذلك، فتهتز الثقة ويُضرب مبدأ العدالة والنزاهة والمنافسة العادلة

تكثر الاحتجاجـات على الحكام، وترفض الأندية تعيينات الإدارة الوطنيـة للحـكام، وتتهمها بالموالاة وسـوء النية وقلة الكفاءة

وجمهور الألتراس يشـاهد ويتابع ويرصد ما يحصل فيؤكد لنفسه صدق معتقده ويواصل التمرد

طالبت أوسـاط كرة القدم التونسية بالاسـتعانة بتقنية حكم الفيديو المساعد (الفار) وتحدّث الحكام والفنيون والمسيرون وتظلّموا لدى الإدارة الوطنية للتحكيم وكل الجهات المسؤولة في الجامعة والوزارة وفي كل مكان

وتعقّـدت أمـور الكـرة التونسـية أكثـر فأكثر بسـبب مردود الحكام وأخطائهم المتعمدة وغير المتعمدة

وخرجت السجالات والاتهامات إلى العلن، وانحدر مستوى الخطاب والنقاش في منابر الإعلام إلى أدناه وأرذله

ويوم الأحد في الملاعب نحصد نتائج ذلك في منعرج المدرجات – الكورفا – ومجموعات الألتراس التي تعبّر بأسلوبها وبالطريقة التي تراها مناسبة، ولا يخجل أحدهم عندما يتهم الألتراس بأنهم سبب العنف والفوضى، في حين تُغاضى عمن هو الأصل في كل هذه الفوضى

الأمر الذي لا يتجه بعلاقة الأمن والألتراس إلى التطبيع بل يزيدها تعقيداً وتشكيكًا وصدامًا

تأخر استخدام تقنية الفار حتى مباراة كأس السوبر بين الترجي التونسي والملعب التونسي يوم 16 فيفري 2025 بملعب حمادي العقربي برادس

وبداية من الجولة الخامسة إيابا من البطولة التونسية يوم 18 فيفري 2025 ورغم أن أول استعمال له يعود إلى 9 ماي 2021 اقتصرت الاستعانة به على عدد محدود من المباريات المهمة

في أحد المنابر التلفزية، حكمان سابقان، أحدهما يتهم الآخر بأنه جامل الفريق الذي يناصره عندما أدار مباراته، فيرد الثاني بكل جرأة ودون خجل أنه يتشرف بذلك ولا ينكره

أحـد الحـكام السـابقين يتحـدث صراحة فـي الإعلام عن مسـكه بأموال كان ينقلها كوسيط لرشـوة أحد الحكام، ويعلم شخصية رياضية نافذة للتدخل وحل المشكل، وكان له ذلك

حكـم آخر يعترف في لقاء خاص أنه كُلّف من النادي الذي يناصـره بالعناية بالحكام الأجانب الذين يديرون مبارياتهم في المسـابقات الإفريقية في تونس، ويسهر على تلبية طلباتهم من كل نـوع. ويقـول إن هـذه الخدمات أمر عادي، تقـدّم للحكام الأجانـب منـذ حلولهم بالمطـار، هواتف فاخرة مع شـريحة، ويعترف بوجود الفساد

مثل هـذه النماذج من الاعترافات شـاهدها متابعو الرياضة التونسية في الكثير من البرامج والمنصات الإعلامية المختلفة، والتغاضـي عنهـا أدّى إلـى تراجع منسـوب الثقة فـي التحكيم التونسي إلى أدنى درجاته

وزاد في عدم الرضا والتشـكيك في نزاهته، ورفض الأندية قوائـم طويلـة مـن الحـكام لإدارة مبارياتهـم ويذكّـرون دائمًا بالتاريخ القديم معهم

فلا نسـتغرب من غيـاب الحكم التونسـي عـن التظاهرات الرياضية الكبرى مثل بطولة إفريقيا وكأس العالم، التي يشارك فيهـا الأجدر والأكفأ، ويؤكد سـوء سـمعة التحكيم التونسـي على المستوى الإقليمي والقاري والعالمي

نماذج فاضحة للتحكيم في تونس

في لقاء إعلامي شكك رئيس أحد النوادي في ذمة الحكم الذي أدار مباراة فريقه مع فريق عريق أطنب الحكم في ظلم ناديه ومنعه من الفوز وجامل المنافس

وطرح سؤالا خطيرا متعلقا بعدم السماح لناديه بالفوز، ودعا صراحة الإدارة الوطنية للتحكيم في مداخلة إذاعية إلى استبعاد عدد من الحكام الذين تعلقت بهم وقائع أو شبهات لتورطهم في فساد تحكيمي مع عدد من المسؤولين في الأندية وهو أمر من ضرورات تطهير القطاع

9. الإفلاس يعصف بكرة القدم التونسية

على مر العقود والسنوات الطويلة، عرفت كرة القدم التونسية – من الجامعة وهياكلها إلى الأندية وفروعها – غموضاً كبيراً في التسيير المالي. وقد علّقت الصحافة التونسية منذ تسعينات القرن الماضي على هذه الإدارة المشبوهة التي كثيراً ما كانت تفتقر إلى الشفافية، حيث لا تُصارح جماهيرها إلا ببعض الأرقام المالية، وغالباً ما تقتصر على الإشارة إلى حجم العجز الذي يعيشه النادي. فلا يُعلَن عن قيمة الصفقات أو التعاقدات مع اللاعبين، سواء في البيع أو الشراء، ولا عن عمولات الوكلاء، ولا يُنشر كشف مفصل بالمصاريف، مما جعل الثقة بين مختلف أطراف اللعبة مشوبة بالشك والريبة.

فتكثر الإشـاعات، ويعلو الهمس واللمز، وتُـكال الاتهامات، والطعن في الذمم

وفي ظـلّ الوضع الراهـن للبلاد، والتقلبـات والاهتزازات والأزمـات المركبـة، يواصل الشـعب التونسـي دفع تكلفة الصراعـات السياسـية والحزبية والأيديولوجيـة التي عصفت بـه وبعد أن كان يظن أن « ثورته » ستحسّـن عيشـه، أخذته إلى القاع فتعطل سـير دواليب البلاد، وأكتشـف بعد فوات الأوان أنه مخدوع بمن وثق فيهم وسحب من تحته البساط.

هـرب مـن هرب ونظـر القضـاء فيمن وقـع وثبتـت عليهم الإدانة وزُجّ بهم في السجون بما أجرموا وأفسدوا.

وهي قائمة طويلة أغلبها أشـخاص مـرّوا من بوابة الرياضة لتلميع صورهم، وحشـدوا أنصـار الأندية كمخـزون انتخابي للوصـول إلـى المناصـب والوجاهـة والنفـوذ، وجنـي المال الفاسد.

ورغـم صعوبـة الوضـع العـام للرياضة التونسـية، مـا تزال شـؤونها تُـدار وفـق ترسـانة قانونيـة لـم تعـد تواكـب واقعها الحالي، والأزمة المالية الخانقة التي تعاني منها أغلب الأندية، والجامعـة أوضـح دليـل على ذلك، مـازال بعض المتسـلقين المغامريـن فاقـدي الكفاءة ينتهـزون الفرصـة ويتهافتون على تولي رئاسـة هذه الأندية في شكل هيئات تسييرية تزيد بدوْرها من تفاقم المشاكل.

الوضـع المالي في كرة القدم التونسـية ظل لغزًا مسـتعصيًا علـى الفهـم، وكأنّ مفتاح هذا الصندوق السـري قـد أُلقي في أعماق المحيط.

تواصـل الأندية المفلسـة عقد الصفقـات الخيالية والمبالغ فيها دون أدنى إحساس بالمسؤولية

فتنفـق مئـات الملاييـن ولا تهتم مـا إذا كانت تتناسـب مع وضع النـادي وديمومته، ووضع البلاد وظروفها، والمسـتوى الفنـي المتواضـع للاعبيـن المحلييـن والأجانـب علـى حـد سواء، والملاعب والبنية التحتية المتهالكة، والإدارة والتسيير والتنظيم، والموارد المالية للأندية التي تبقى دون رقابة وحدود. ثم يتواصـل تذمر الأندية وشـكواها من الديـون والإضرابات والمطالبات بالمستحقات والإيقاف على الانتداب والمنع من المشاركات الإفريقية.

10. وطارت أموال الجامعة

عـرف الوضـع المالـي وميزانيـات الجامعة التونسـية لكرة القدم تقلبـات غامضة تثير الحيرة، فرغم الأعباء المالية الثقيلة التـي ترزح تحتها الجامعة، فإن فترة وديع الجري عرفت تدفقًا كبيرا للأموال بفضل العائدات المرتبطة بالمشاركات في كأس العالـم 2018 و2022. وعدد في الـدورات المربحة ككأس العـرب وكأس كيريـن، رفعت فائـض ميزانية الجامعـة إلى ما يناهز 22 مليون دينار، أي ما يقارب 6.6 مليون يورو،

لكن سـرعان ما تراجعت الإيرادات تراجعا غريبا يدعو إلى الحيرة والشـك ويصبح الفائض عجزا بثمانية ملايين دينار في موسـم 2022-2023، عكـس انقلابًـا وانحرافًـا هيكليًـا في إدارة الموارد

وتجدر الإشـارة إلى أنّ التحقيق المالي لشهر جوان 2024 يؤكد وجود تجاوزات، بتضاعف بند المصاريف بين موسـمي 2022-2023 و2023-2024، إلـى جانـب تراجـع حجم الدعم من وزارة الشباب والرياضة.

الأزمة خانقة، فلا موارد مساعدة من حضور الجمهور، ولا عقود رعاية داعمة بسبب الدورة الاقتصادية البطيئة، مع تراجع حقوق البث التلفزيوني وصعوبات لا تحصى.

عوامـل أدخلـت الأنديـة في مشـاكل معقـدة مـع اللاعبين والمدربيـن، فرفعـت القضايا لسـداد الديون المخلـدة بالذمة كلفـت غرامات مرتفعـة وعقوبات منع مـن تعاقدات الجديدة لدعم الفريق وإرضاء الأنصار والأحباء.

هاجـر أفضـل اللاعبيـن المحليين إلـى الخـارج هروبا من تـردي الوضـع الرياضي في تونـس، ونفر اللاعبـون الجيدون الأجانـب مـن الدوري التونسـي خوفـا من الإصابـات البليغة جراء أرضيات الملاعب السيئة

واتجهـوا إلى دوريات أخرى جاذبـة ومغرية، بعد أن كانت بطولتنا تحظى في السابق بالتقدير والاحترام الكبيرين اللذيْن فقدتْ جزءا هاما منهما في الآونة الأخيرة.

غابـت الفرجـة الممتعة، وحتـى النقل التلفـزي للمباريات غاب بسـبب خلاف دام موسـمين بين الوطنية الأولى وجامعة كرة القدم، في سلسلة من المناورات وأخذ ورد عاش الجمهور الرياضـي أطواره المملة إلى أن تدخل رئيس الدولة وأمر بنقل المباريات وإنهاء السجال.

تكـرّس واقـع إفـلاس الرياضـة التونسـية وعـدم الإيفـاء بالالتزامات المالية للأندية وتكرر اضراب اللاعبين وازدهرت حركات التمرد وتراجع الاجتهاد والقيام بالواجب، فيما لجأت بعض الهيئات التسـييرية إلى الحل الأسـهل وهو الهروب من المواجهة بالاستقالة في ظل قلة حيلة السلطات المحلية.

انهـارت منظومـة الرياضـة برمتهـا، واختل النظام، وكسـر الانضبـاط، وتوقـف العمـل الجاد. وحتـى المنظومـة القيمية والأخلاقية القديمة تأثرت وأصابها التصدع،

فمن تحدث من اللاعبين سابقا عن الانتماء التام وأن النادي مثـل الأم لا يمكـن تغييرهـا، طالب بحقوقه واشـتكى للقضاء الرياضي للحصول عليها

تراجع الأداء الفني لقلة التمرين وأصبح الفوز كما الخسارة بـدون روح ومعنـى، ما أثر علـى علاقة الجمهـور بلاعبيه إلى

درجة الاحتجاج والاتهام بالتقصير، وصولًا إلى السب والشتم والاعتداء.

تلاعب بعض المندسين في إدارة الأندية وتسييرها ، وأهدروا أموالها بسوء التصرف وغياب الحوكمة، والاختلاس والتزوير، وسيطرت فئة فاسدة من المسيرين والمسؤولين على لاعبي الأندية، وحصلوا على عمولات من اللاعبين وأعضاء شبكات تدير هذه السوق، محققين أرباحًا طائلة على حساب الأندية، التي تحولت إلى أعشاش دبابير يهجرها الصادقون ويتهافت عليها المتسلّقون الانتهازيون، الذين يملكون كل الأدوات من شبكات وعلاقات قوية، واطلاع على القوانين الرياضية، والفجوات التي يمكن استغلالها للتحايل والتلاعب وتحقيق الأرباح والصفقات المشبوهة

والأمثلة كثيرة للعقود التي أبرمت مع لاعبين حصلوا على أموال طائلة من أندية تونسية، رغم عدم مشاركتهم في أي مباراة أو تمرين، بأحكام صادرة من محكمة التحكيم الرياضي (الطاس) وبقوة القانون. والغريب أن كثيرًا من الذين أجرموا في حق الأندية التونسية يفلتون من المحاسبة ما يشجع بعض المغامرين على مزيد التطاول على هذا القطاع.

وأثّر شحّ الموارد المالية للأندية في ضعف التكوين القاعدي للرياضيين من مختلف الفئات السنية، فظهرت شبه

أكاديميات أولويتها الربح أولا وأخيرا، عجزت عن ضخ المواهب الحقيقية للكرة التونسية.

بعض الآراء - ولسنا ندري مدى صحة ما تذهب إليه - ترى أن المواهب الحقيقة تنتمي إلى الطبقات الفقيرة والأحياء الشعبية التي لا تستطيع دفع هذه المعاليم وتبقى خارج الأسوار تراقب من خلال السياج، في ظل تدخل بعض الأولياء وتأثيرهم في الاختيارات الفنية. فهو سبب إضافي في تراجع اللعبة.

الفصل الرابع

فساد البنية التحتية

1. الملعب الأولمبي بالمنزه

توجه الجهات الرسمية إصبع الاتهام إلى الطرف الأضعف في المعادلة وهي مجموعات الألتراس، فتحمّلها مسؤولية أعمال العنف والفوضى والشغب والإضرار بالممتلكات العامة والخاصة،

وتتغافل أو تتجاهل الطرف الأقوى، الذي ألحق أضرارًا فادحة تفوق بأضعاف ما نُسب إلى هذه المجموعات

فالفساد المؤسساتي، الذي أقرّ به رأس هرم السلطة التنفيذية عند معاينته لتقدم أشغال تهيئة الملعب الأولمبي بالمنزه وترميمه يوم 16 نوفمبر 2023، يكشف حجم الاخلالات العميقة التي تنخر الهيكل الإداري والمؤسساتي.

انطلقت الأشغال بتاريخ 10 جانفي 2022، بعد إنجاز الدراسات الفنية اللازمة ورصدت الموارد المالية على أن يكون موعد التسليم في نوفمبر 2024

كان الخطاب في البداية متفائلًا، يعد بإرجاع هذا الصرح الرياضي التاريخي إلى مكانته المرتبط بالإنجازات الرياضية والذي أعتبر منذ عقود مبعث فخر. لكن سرعان ما تحوّل

إلى خطاب أزمة ثقة مشحون بالاتهامات بالفساد، والتلاعب بالمواصفات الهندسية، وغش في المعايير، وعدم احترام للمثال الهندسي،

تشققات في الإسمنت وفقاعات هوائية في المواد المركبة المستعملة في المدارج والدعامات، كشفته التقارير.

أعلنت وزيرة التجهيز بعد يوم واحد من زيارة الرئيس، عن فتح تحقيق إداري للوقوف على الأسباب الحقيقية لتعطيل إنجاز المشروع، بالنسق المطلوب، مع تحديد جهات التقصير

تقصير وفساد واضحان، حيث انطلق المشروع باعتمادات مالية بلغت 22 مليون دينار عام 2019،

ليرتفع المبلغ إلى 54 مليون دينار في 2021، ويبلغ 100 مليون دينار في جوان 2022

وفي مارس 2024، أوقف القضاء العمل في الحظيرة وأمر بالإخلاء، بعد صدور تقرير الخبراء الذين عينتهم المحكمة الابتدائية بتونس استجابةً لطلب شركة المقاولات، والذي تضمن الإخلالات الجسيمة

وما تزال القضية متواصلة في ظل مشهد حزين لهذا الملعب العريق ذي المكانة المميزة عند عشاق الرياضة من كل الأجيال

ليصبح شاهدا على أكبر عملية فساد رياضية في قلب العاصمة تذكر بأن من يوجه إصبع الاتهام إلى غيره عليه أن ينظر في المرآة أولا

2. الملعب الأولمبي بسوسة

تابع الجمهور الرياضي منذ 2023 قضية فساد زادت في احتقان الشارع الرياضي، راقبتها مجموعات الألتراس وكل الجمهور الرياضي رأى كيف تعبث جهات يفترض فيها حرصها على المصلحة العامة وممتلكات الشعب، ممارسة أنواعا شتى من الإهمال والتقصير

فتخدع وتخون من منحها الثقة والامتيازات والصلاحيات لإدارة المصلحة العامة وتخرّب المقدرات وتتلف الإمكانات وتحرم الناس من حقهم في حياة أفضل وبنية تحتية من أموال دافعي الضرائب

في مارس 2019، انطلقت أعمال توسعة الملعب الأولمبي بسوسة، لزيادة طاقة استيعابه إلى 45 ألف متفرج

وفي الاثناء أورد الاتحاد الإفريقي لكرة القدم في تقريره الفني جملة من الإخلالات التي جعلته غير مؤهل لاستقبال المباريات القارية لعدم مطابقته للمواصفات الدولية

تقرير صادم جاء عكس الانتظارات ليحبط العزائم ويشعل فتيل غضب الجمهور الرياضي، ووجدت بعض المجموعات فيه مبررا لمعارضتها لكل ما هو رسمي

تحركت النيابة العمومية وفتحت تحقيقا في شبهات الفساد المتعلقة بأشغال التهيئة والتوسعة، وملاحقة المخالفين والمتورطين

3. الملاعب تنهار كما قطع الدومينو

اهتراء البنية التحتية الرياضية في تونس ظاهرة منتشرة جدًا تعاني منها الفضاءات الرياضية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب دون استثناء

بما فيها نوادي الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم والأمثلة كثيرة على الملاعب التي لم تحصل على اعتماد وشهادات صلاحية من الاتحاد الإفريقي لكرة القدم الأمر الذي أجبر الأندية على التنقل الى الملعب الأولمبي حمادي العقربي برادس لإقامة مبارياتها ما أثر على أرضية الملعب الوحيد المخوّل للاستعمال وكاد بدوره أن يلقى ذات المصير حيث بات خطر اللعب خارج البلاد قريب الحصول

خراب في كل مكان

ولم تقتصر الحالة الرديئة على ملاعب كرة القدم فقط، بل شهدت القاعات الرياضية حالة من الانهيار غير المسبوق، تسبب في توقف العديد من المباريات في شتى الاختصاصات، ولم تنجُ من ذلك قاعات أكبر الأندية في العاصمة التي ميزانياتها بالمليارات لا تتناسب بالمرة مع هذه البنية التحتية المتهالكة

ولا يمكـن الحديث عـن ملاعب الأنديـة الصغرى في كل البلاد وتسـمى بمدارس اكتشـاف والمواهـب وتكوين أجيال الرياضيين

وقـد لفهـا الإهمال ومـا عاد الكثيـر منها صالحا لممارسـة الرياضـة والاضطـلاع بدورهـا علـى أكمل وجـه وبعض هذه الملاعـب مـن شـدة الإهمـال وغيـاب الحراسـة اسـتباحتها مجموعـات من المنحرفين ليلا يتركـون آثارهم تبقى متراكمة على حافة الملعب لفترات طويلة لا يرفعها أحد

4. المدينة الرياضية بصفاقس: المشروع المعطل

اسـتغرق الأخذ والرد والتعطيل والتأخير لمشـروع المدينة الرياضية بصفاقس سـنوات طويلة، وكل الحكومات المتعاقبة منذ ما قبل الثورة من 2008 إلى 2025 لم تضع حجرا واحد، وبقـي الحلم يراود سـكان المدينة إلى حد الإحسـاس بالغبن والتجاهل وتقصير الدولة في حقهم.

فعاصمة الجنوب في حاجة لهذا المشروع وهي جديرة به.

مدينة رياضية متكاملة تتناسـب مع الكثافة السـكانية كثاني مدينة من حيث عدد السـكان في البلاد، والحاجة الماسـة إلى مرافق رياضية حديثة تتسـع لشباب المدينة وشغفهم بالرياضة وإنجازاتهم في مختلف الاختصاصات.

فـي شـهر أوت 2025 أعلن وزيـر الشـباب والرياضة عن تخصيـص قطعـة أرض لإقامة المشـروع الذي بقي لسـنوات

طويلـة حبرا علـى ورق، وبعد سـنوات طويلة مـن المطالبات أعلنوا عن غضبهم من خلال تحركات

احتجاجية، منها ما كان بأسلوب مبتكر وساخر قادته جمعية «صفاقس المزيانـة» في ماي 2018 بتنظيم حفل افتتاح رمزي لانطلاق أشغال المدينة الرياضية

وفـي 20 جوان 2020، نظم عدد مـن المواطنين احتجاجًا أمام قصر بلدية

صفاقس، واستخدموا هاشتاغ «صفاقس يلزمها إستاد»

وبجـرأة نـادرة أكـدت وزيرة سـابقة للشـباب والرياضة أن مشـروع المدينـة الرياضيـة في صفاقـس مشـروع وهمي وأن الحكومـات المتعاقبة لم تحرك سـاكناً واكتفـت بالهروب إلى الأمام بوعود كاذبة

أطوار تعطيل هذا المشـروع غريبة عجيبـة تطرح الكثير من الأسئلة والشكوك التي لا أجوبة لها

فمنذ طرحت فكرة المدينة الرياضية بصفاقس عام 1993

ومصادقـة الرئيـس السـابق زيـن العابديـن بـن علـي على المشـروع فـي 2007 واقـراره ضمـن أولويات البنيـة التحتية الرياضية في مدينة صفاقس في 2008

وتخصيـص قطعـة أرض بمسـاحة 85 هكتـار فـي منطقـة «حقونة» طريق السلطانية كيلومتر 17

واعـلان وزيـر الشـباب والرياضـة في 2015 عـن انطلاق الدراسـات الفنيـة والماليـة وتحديـد موعـد الانطـلاق فـي الأشغال

ثم مواعيد أخرى كثيرة ومازال المشروع يراوح مكانه

وهو ما يؤكد العبارة التي وردت في كلام الوزيرة السابقة.. عبارة « المشروع الوهم»

ورغم ذلك لن يتوقف عشـاق الرياضة في عاصمة الجنوب صفاقـس فـي مطـاردة حلمهـم والمطالبـة بالمدينـة الرياضية المتكاملة

وفي ذات الوقت يطرح السؤال لمن يهمه الامر

متـى تنتهي الفصـول المملة لهذه الحكايـة التي طالت أكثر من اللازم؟

5. الملاعب المدرسية تعيسة

مشـهد آخـر لحالة الانهيـار الشـامل للرياضة التونسـية في بنيتهـا التحتية يتعلـق بحالة ملاعب المؤسسـات التربوية التي سـاءت إلـى درجة محزنة فـلا يختلـف اثنان أن حصـة التربية البدنيـة هي أحد أمتع المواد عنـد أغلب التلاميذ ولا يمكن أن ننسـى السـنوات التي عرفت فيها الرياضة المدرسـية الإشعاع الهائل وكم اكتشـفت من مواهب رياضية من الفتيات والفتيان من كل ولايات البلاد مثلوا المنتخبات التونسـية ورفعوا الراية الوطنية في العديد من التظاهرات العالمية

الـكلام وحده لـن يخرجنا مـن عنق الزجاجة، بل سـيزيدنا إحباطًا، وأهم من ذلك أن نتجاوز هذا الوضع المُزري ونتلمس طريق الإصلاح والتدارك لما فات من وقت ضائع

ولا يفوتنـا أن نحـذّر مـن يتجاهـل هـذا الشـأن الدقيق من المسؤولين ضعاف الإرادة والكفاءة من خطورة الوضع ودرجة وعي الجمهور والألتراس خصوصًا بهذه المآسي المتراكمة،

فالقـادم أخطـر إذا تواصـل الإهمـال ودفـن الـرؤوس فـي التراب

لذلـك نلفـت انتبـاه الجهـات الرسـمية للرياضة التونسـية أن الاعتمـاد علـى هـذه الفئـة من المسـؤولين فاقـدي الإرادة والمبـادرة والمسـتمتعين بالامتيـازات والمكافـآت دون أي أضافـة أو اصـلاح وتصحيح وتقويـم يمثل خطـرا على البلاد والعباد ويجب التخلي عنهم إذا تخلوا عن واجباتهم

فاستشـراء الفساد في المؤسسـات والإدارات واهتزاز الثقة فيها يتسرب من خلال هذه الفئة

ولا فائدة بعد ذلـك في الالتجاء إلى الحل الأمني للتصدي لجمهـور الملاعـب، ومسـؤولو الإدارة مـن خلـف مكاتبهـم المكيفـة هـم أصل الفسـاد وسـبب الغضـب ومحـرك العنف والفوضى

الفصل الخامس

جمهور الكرة

1. جمهور كرة القدم في الأحياء المهمشة والفقيرة

لا يمكن فهم علاقة الجمهور الرياضي بكرة القدم دون الرجوع إلى واقع الأحياء الفقيرة والمهمشة التي ينتمي إليها جزء كبير من المشجعين. بالنسبة إليهم، كرة القدم ليست مجرد لعبة أو هواية، بل هي فسحة أمل، ومتنفّس من ضغوطات الحياة اليومية، ووسيلة للهروب من واقع صعب تنتشر فيه البطالة، والفقر، والتهميش، والممنوعات بأنواعها.

في الأحياء الشعبية ورغم تقلص المساحات في المدن الكبرى، ما زالت بعض الأراضي المهملة هنا وهناك، تحتفظ بدورها كفضاء ترفيهي شعبي تمارس فيه كرة القدم بوقت كامل يتوجه إليه أبناء الحي تلقائيا.

في الحي ينتشر استهلاك المخدرات والكحول وغير ذلك.

ثقافة التمرد على القانون، عنوان للشجاعة والبطولة والعنف والبطش والعدائية ميزة كلما زادت زاد المقام والوجاهة والاحترام والتبجيل

وفـي مدرجـات الملاعـب عقليـة الحـي الـذي يأتـي منها المشـجع لا تنفصل عنه والأضرار النفسـية العميقة بالتسـرب المبكـر مـن المـدارس والتفكك الأسـري والإدمان وتشـتت العائلـة، وغيرها من المآسـي المركبة، تسـتوعبها المدرجات وتنصهـر فـي شـعارات رياضيـة تحـل محـل الاجتماعـي والاقتصادي، ويصبح الانتماء للأندية والعصبية في مناصرتها بـكل القوة وسـيلة للتعبير عن الوجود وإثبـات الذات وفرض السـيطرة بكل وسـائل العنف والقوة المتاحة ومن لا يسـير في ركابه هو غريم وعدو ويجب تأديبه بكل الطرق

تستوعب المدرجات فئات عمرية مختلفة، منهم المراهقون وهم الفئة الأكثر هشاشة وخطورة وهم على تنوع كبير، وأحيانا تكـون فئة التلاميـذ هي الأخطـر بطبيعـة الثقافة المنتشـرة في الأحياء الشعبية التي تمجد «الباندي» و «الخليقة» والمنحرف الـذي تُروى عنـه حكايات التحـدي والبطولة ضـد «الحاكم» رجال الأمن، و «الباندية» المنتمين إلى « الْحُومْ »

الأخرى، فيصبح هو القدوة والمثال الذي يحتذى به

ورغم أنهم يذهبون الى المدارس والبرامج الرسمية تطلعهم على الأدباء والشعراء والمفكرين والعلماء والفلاسفة والأدب العالمي والنظريات والأفكار، فالغريب أنها لا تترك أي أثر في هذه الفئة، مقابل ذلك فإنّ المنحرف يصبح مؤثرا رئيسـيا يعلق فـي الذاكرة الشـعبية تُدفع فـي تمجيده وتبييض سـيرته أموال

طائلة من خلال الإنتاج الدرامي في قناة تونسية خاصة تصور علي شورب بطلا خارقا.

المهم أن هذه الفئة من المراهقين يسعون إلى الانضمام لمجموعات الأنصار وإثبات قوة انتمائهم بالتشجيع المتعصب والاندفاع الى أبعد حدود التهور والشغب الذي ينزلق أغلب الأحيان نحو العنف.

في غياب العناية، يقعون في شبكات ومجموعات منظمة من منحرفين يسيطر قياداتهم عليهم ويحولونهم الى أدوات لكل أنواع الشغب والعنف والإجرام مستغلين رغبتهم في الانتماء لمجموعات الأنصار.

لذلك ليس غريبًا أن تتحول مباريات كرة القدم أحيانًا إلى ساحات للتوتر والشغب، فالجمهور لا يأتي فقط لتشجيع فريقه، بل يحمل معه تراكمات اجتماعية ونفسية لا تجد متنفسًا أفضل من مدرجات ملاعب كرة القدم.

العنف في الملاعب في كثير من الحالات نتيجة لواقع اجتماعي يحتاج إلى معالجة جذرية، تبدأ من الحي، والمدرسة، والأسرة، ووسائل الإعلام وبرامج الإثارة والشحن والاستفزاز والتلاعب والمتاجرة بمشاعر الناس، فتنتهي بمدرجات الملاعب في مشاهدة يدينها الجميع ولكن من جهة أخرى يتحمل جزءا من المسؤولية فيها.

2. الكحول والمخدرات قبل المباراة

ظهـرت فـي المباريـات النهائيّة لكأس تونـس وعلى الأقل فـي نهائيين لكـرة القدم وقبله فـي نهائي الكرة الطائرة موسـم 2024/ 2-25 شـعارات ضـد تعاطـي المخـدرات رُفعـت كعناويـن بارزة على معلقات ضخمـة في محاولة من الجهات المشـرفة على تنظيـم المسـابقات الرياضية للتوعيـة بخطورة وضع الرياضة التونسية، فرأت ضرورة لفت الأنظار والتحسيس بخطورة الآفة التي انتشـرت بسـرعة الصوت مخترقة الأجساد والعقول تفسد متعة كرة القدم والرياضة عموما

شـعارات رفعتها الهياكل الرياضية التونسـية آخر الموسـم كانـت علـى اسـتحياء وخجولـة أكدت الأثـر البليـغ للظاهرة المسـتفحلة، وباحتشـام تحـاول فعـل شـيء للتصـدي إليهـا بالتحالف وتكاتف الجهود مع الأطراف الأخرى التي تشـتغل علـى الظاهرة بالمقاربة الأمنيـة توازيا مع مجهودات المجتمع المدنـي والبحـوث الأكاديميـة السوسـيولوجية والمجهـود التربـوي التعليمي والتثقيفي لتحسـين الوعي العـام للمواطن التونسي

تفاقم مشـكل المخدرات وانتشـر تعاطيها في كل الأوساط والفئـات وكامـل البلاد على حد سـواء، الأحيـاء المرفهة كما الأحياء الشـعبية في غياب جدية الخطط والإجراءات المكثفة والناجعة للجهات الرسمية للتصدي ويغلب الظن أنها تستغل

عامـل الزمـن وأن النية تتجه نحـو تنميط وتطبيـع التعايش مع الواقـع وتخفيف حالة فـزع المجتمع وانزعاجـه والعمل على تقبله للأمر الواقع.

أبناء الأحياء الشعبية من المستهلكين أو المروجين الصغار هـم من يدفعـون غاليـا فواتيـر الحيتـان الكبيرة التـي جمعت ثروات فاحشة من تهريبه وتوزيعه داخل البلاد أصحاب المال والنفوذ والسـلطة، اخترقوا الشـعب من القمة الى القاع فباتت المخدرات متوفرة في كل مكان في متناول المراهقون

تفشـت آفـة المخـدرات وعصفت بعقـول فئة من الشـباب والمراهقيـن فقادتهـم الى الحماقـات والاعتـداءات والعنف والجريمـة بأنواعها، لا فرق بين الشـارع والمدرسـة ووسـائل النقل والفضاءات العامة بأنواعها

فملاعب كرة القدم ومدرجاتها منطقيا هي الفضاء الأنسب لهذا الفعل فكل المقومات والدوافع حاضرة وبقوة

تتسـع قاعدة هذه الفئة من المجتمع التونسي كل يوم وتجد الأرضية الخصبة في واقعها الاجتماعي الصعب، وفي السنوات الأخيرة تدحرجت الأوضاع أكثر نحو الفقر والحاجة والبطالة والتفكك الأسري وازدياد نسبة الطلاق وانهيار مؤسسة العائلة وضياع الروابط الأسرية وما يفترض أن توفر للطفل من إحاطة وعناية وأمان، فـازداد أطفال الشـارع والطفولة الجانحة وهي

فئة هشة ضحية أوضاع لا تتحمل مسؤوليتها فتصبح شديدة الخطورة عندما تُترك لمصيرها

في ملاعب كرة القدم

ولأن واقع الشارع التونسي متداخل متشابك تنطلق هذه التركيبة المعقدة نفسيا وذهنيا وماديا واجتماعيا إلى الميادين الرياضية وملاعب كرة القدم، هناك وفي الحشود المندفعة، تستحضر شوائب المشترك وعوالق الذاكرة والتباس المرجعية والعدائية وفصول المعاناة الطويلة

ويوم المباراة حشود الأحياء متكتلة في السراء والضّراء من اللمجة إلى قارورة الماء وأشياء أخرى لرفع المزاج والمتعة. سرعان ما ترتفع درجات الحرارة مع أغاني الانتماء والحماس والدفاع والكفاح والنضال والصمود والحرب وعدد من المفاهيم المتحولة والمنقلبة إلى قواميس وفكر وعقلية الألترس

وبفعل الضغط والشحن والإثارة العالية تتغير الوجوه والحركات وفي لحظة متصاعدة مرتقبة يمتزج هدير المدرج بأزيز البناء المسلح تحت أقدام لا تهدأ، تغرق الأجواء في حالة هستيريّة تتشنج وتيرتها بتقدم زمن المباراة

يغيب الوعي ويتلف العقل وتنفجر حالة التوحش وتسيطر على الحشود، وقتها يتدرج مشهد الفوضى بالتدافع إلى الإشتباك ثم إلى العنف بين مجموعات النادي الواحد فيختلط

الحابـل بالنابل، وأثناء المعركة تنشـط مجموعـات في النهب والسلب والعنف الموازي

تمجـد الثقافـة السـائدة فـي الأحيـاء الشـعبية مـن يحسـن الحديـث عن كرة القدم وعـن «الجمعية»، ومن إذا نوى التنقل إلى الملعب لحضور مباراة يحتسـي بضع قوارير من الكحول لرفع المزاج ودرجة الاسـتمتاع بمناصرة النادي وتشجيعه من مدرجات الملعب مع بقية الأنصار، وظاهرة احتسـاء الكحول فـي السـيارات فـي اتجـاه ملعـب المبـاراة طقـس دارج لدى الجمهور الرياضي وهي سـلوكيات تسـببت سابقا في أحداث درامية لا تنسى.

واليـوم مـا عـادت المعضلـة مقصـورة على ذلـك فقط بل انضمت الـى القائمة أصناف جديدة مـن الممنوعات المتاحة بكثرة في أوساط المراهقين والشباب

كحـول ومخدرات زائد فقرو تهميش بالإضافة إلى شـحن متواصل طيلة الأسبوع يتقنه وتتفنن فيه بعض البرامج الرياضية التي تُشـعل الفتيـل وتهيئ أجـواء الحرب، حتـى إذا حضرت الحشـود الـى المدرجـات يـوم المبـاراة تكون جاهزة لأسـوإ الاحتمالات والشواهد مفزعة غير مطمئنة بالمرة

عنف وفوضى عارمة تكتسـح المدارج والميادين لا يمكن أن تكـون مجـرد تفاعل مع مبـاراة كرة قدم بل هـي بالضرورة انعـكاس لواقع صعب يعيشـه الجمهور الرياضـي كجزء كبير

من الشعب التونسي في كل مكان وليس فقط كرة القدم فالأمر ذاته يشمل أيضا الرياضات الجماعية التي تتأثر بأجواء الرياضة الشعبية الأولى وتتماهى مع ما يحدث في ملاعبها..

يتصادم جمهور الفريقين كمشهد كلاسيكي في مرحلة أولى، ثم ينقسم الجمهور الواحد على نفسه فيتصارع على القيادة والريادة وقوة الانتماء، تُرمى المقذوفات فتتوقف المباراة حتى تنقشع الغيوم وتُستأنف الى حدود صافرة النهاية.

يغادر الجمهور المدرجات، وتبدأ المطاردات بين الجمهور ورجال الامن لتفريق الحشود، وهي مطاردات تطورت أحيانا إلى وقوع ضحايا بقيت علامة سوداء في تاريخ الكرة التونسية

حدثني أحد الرواد الدائمين لملاعب كرة القدم والعهدة على من روى أن هناك بعض الجماهير يتعاطوْن المخدرات في المدرج، وبعض البلطجية يعتدون على عناصر من أنصار ناديهم ويسلبونهم ممتلكاتهم وحتى ملابسهم.

3. الألتراس

في نشاط الألتراس على منعرجات الملاعب ومدرجاتها ديناميكية تبدو للوهلة الأولى غريبة لا منطق يحكمها، برموز وشيفرات وطلاسم خاصة تؤثر في السلوك العام للجمهور الواحد فتطفو على السطح من حين لآخر صراعات شرسة غامضة الأسباب والأطراف

ولفهم هـذه الظاهرة المتعلقة بالوحدة والصراع والتجاذب والتنافـر لدرجـة العنف الشـديد، يجـب أن ننظر فـي الحديقة الخلفيـة للمجمعـات ونطّلـع على طريقـة التفكير وأسـلوب التعامل مع المستجدات وأخذ القرارات والمواقف

فأسـباب الفعـل ورد الفعـل داخـل مجموعـات الألتراس محكومـة بحالات محـدودة في المـكان والزمان وأي خلاف يُصفى في حينه بكل الطرق ثم ينتهي في توه ومكانه

ومشـاريع التحـركات والمواقف تعبّر عن فكـرة تجول في خاطـر الجمهور تبادر إحـدى المجموعات أو أكثر للقيادة من بدايتها كفكرة وتصور إلى جمع المسـاهمات والتنفيذ، المهم ألا يحيد العمل عن عقيدة الألتراس

ويحترم بنيتها الفكرية

فعضـو مجموعـات الألتراس يبـذل كل ما يسـتطيع للدفاع على هذه العقيدة والتعصب المفرط لا يعتبر عيبا بل هي مصدر اعتزاز وفخر والبروز فـي المعركة يمنع الاعتراف بالإخلاص وصدق الانتماء

وللتقدم أكثر في التفصيل والفهم، علينا أن نطّلع على مفهوم الجمهور لدى المفكر جوستاف لوبون، الذي يعتبر أن الجمهور الرياضي تكتل من البشر يمتلك خصائص جديدة مختلفة جداً عن خصائص كل فرد يشـكله، وفيه طمس الشـخصية الواعية للفرد، فتصبح أفـكار الوحدات الصغرى المشـكلة للجمهور

موجهـة في نفس الاتجـاه، والكينونة خاضعـة لقانون الوحدة العقلية للجماهير.

والجمهـور الرياضـي هـو المتابـع للأخبـار والأحـداث والتظاهرات، فيشجع ويناصر تلقائيا وذاتيا بلا قيد وشرط

ولـم تخـل الرياضـة التونسـية عبـر تاريخها مـن الأحداث الدامية التي عاشتها الجماهير الرياضية

وعبر العقود من الزمن احتفظت الذاكرة الجماعية للجمهور الرياضي بأحداث أليمة سـقط فيها ضحايا وجرحى لأسـباب عديدة منها ما يتعلق بالجمهور ومنه ما يتعلق بالسلطة السياسية وأسلوب التعاطي مع الواقع والظرف العام

رغـم ذلك تبقـى أحداثا محدودة ومتفرقـة وهذه الأحداث لا ترتقـي فـي تواترها إلـى الدرجة التـي عرفتها في السـنوات الأخيـرة حين باتت شـبحا مفزعـا يجب التصدي لـه بنجاعة، ورغم اقتصار الحضور في أغلب الأحيان على جمهور الفريق المحلـي فإن المدارج لـم تخل من الصدامات والاشـتباكات فيمـا بين مجموعات الألتـراس للنادي الواحـد، أو بينها وبين رجال الأمن

عـرف مفهوم « الجمهور » ودوره أثناء المباراة تغّيرا جذريا حيـث أفرز ظواهر جديـدة ناتجة عن عقائد وأفـكار قادمة من مدارج ملاعـب عالمية فأصبحت مجموعات الألتراس أقرب إلـى الرابطات الإخوانية تؤمن أنّه يجـب عليها أن تفزع لنصرة

النـادي فـي مدرجـات المباريـات وفـي أي مـكان يلتقـي فيه الأنصار ببعضهم البعـض أو بأنصار الأندية الأخرى، فتتحرك في كتل لتهاجم وتتصدى.

وفـي أوروبـا وأمريـكا اللاتينيـة تُقـام معـارك شرسـة قبل المباريـات بيـن مجموعـات النادييـن فـي مواقف السـيارات والشوارع الخلفية للمدن فتطاردهم الشرطة وتعتقل بعضهم

والألتراس حركة داخل الحشود تعبيرا عن الانتماء والهوية والوجود هي سبب كاف للتضحية

الألتراس في الملاعب العالمية

ظهرت مجموعـات الألتراس في نهايات السـتينات عندما كانت الأوضاع مضطربة في إيطاليا، وعرفت فرنسا عام 1968 أوج الحركـة الطلابية وفي كامل أوروبا، وهي علامة فارقة في تاريـخ حراك اليسـار الطلابي في العالم، تزامـن هذا الاحتقان الاجتماعي مع ظهور مجموعة في مدرجات نادي سـامدوريا الايطالي أطلقت على نفسها إسم

Ultra Tito cucchiarone

بعـض المراجع رجّـح ظهورهـا أول مرة فـي البرازيل عام 1940 بإسـم تورسـيدا، ثـم انتقلـت إلـى أوروبـا مـن خـلال مدرجات ملاعب يوغوسلافيا وكرواتيا

حـددت أهدفها في التعبيـر عن الهويـة الجماعية والانتماء القوي للمجموعة الذي قد يتجاوز الانتماء للنادي ذاته

وهـي مسـتقلة إدارياً لا تتبع أحدا، ترفـض رفضا باتا تدخل الرسـميين والسياسيين فتمويلها ذاتي من تبرعات ومساهمات الأعضـاء، تحبّذ الحضور في مدارج المنعرج «الفراج» أو كما يحلو تسميتها «الكورفا»

عدد كبير منهم يتبنى فكرا يساريا مناهضا للسلطة السياسية، قـد ينضمون إلى الشـارع للمشـاركة في أي حـراك اجتماعي، وفـي مناسـبات كثيـرة تصـدت الشـرطة لجماهيـر الألتـراس ونشرت قوائم سوداء لعناصر ممنوعين من دخول الملاعب

وكثيـرا مـا تدخلـت الشـرطة بقـوة مبالـغ فيها فـي مدارج المنعرجـات واشـتبكت مـع الالتـراس، والذاكـرة الجماعيـة للجمهور الرياضي تحفظ أحداثـا دامية وضحايا وجرحى من الجهتين

دونتها فيما يسـمى «مانيفسـتو» مجموعـات الألتراس وفي مذكرات ورسـائل وإصدارات خاصة بها، أهمها المنشـورات المتعلقة بتفسـير وشرح معتقدها وفلسفتها، وعرض تصورات مجموعاتها للأدوار والرسالة

وطرح مواقفها من إدارة النادي والسـلطة والنظام والشرطة والإعلام

ونورد مثالا من «مانيفستو»

You wanted us to be Puppets

Mere Merchandise in this country

You want the fans to be naïve
Singing only about titles
Never forget the Derby match
With closed doors
Our message is very clear
It is the people who rule
It has the power in this country

إلى نهاية المانيفستو

هـذا "المانيفسـتو" تداولتـه منصـات جماهيريـة و، صيـغ بلهجـة حـادة تحمـل معانـي القوة ورفـض الخضـوع، طالب بالاعتـراف بالـدور السياسـي والاجتماعـي للجماهير وعدم تهميشـها، وهاجم الفسـاد والانحراف، مستعملا مصطلحات التحـرر والتمـرد حتـى وإن كلفهـم الاعتقـال، مـع التأكيد أنّ الولاء للنادي فعل مقاومة ونضال وصمود

الألتراس في مدرجات تونس

هي تعبيرة شبابية دخلت عقدها الثالث في ملاعبنا، قطعت مع الشكل القديم لمعنى مناصرة وتشجيع الأندية الرياضية التي بدأت بكرة القدم وتوسعت لباقي الرياضات الجماعية

وقد كان الأسلوب القديم في التشجيع يعتمد في أغلب الأحيان على حضور فرقة فلكلور في المدرجات مدفوعة الأجر من إدارة النادي تنشط الأجواء خلال المباراة

لكن لم يرق هذا الشكل للجيل الجديد من الجمهور الرياضي الذي أراد أن يعبّر عن نفسه كما يريد وبكامل إرادته وميولاته دون تدخل من أي كان بكل استقلال وحرية ومواكبة لأجواء مدرجات الكرة العالمية

تطور فعل التشجيع والمناصرة إلى حركة ثقافية بمضامين عميقة تحمل أبعادا اجتماعية ومواقف سياسية تعبر بطريقتها ومصطلحاتها وأفكارها ترفض التبعية والتدخل الخارجي

أرجعت بعض الروايات ظهور أولى مجموعات الألتراس في منعطفات مدارج الملاعب التونسية الى سنة 1995 ثم انتشرت

لتظهر تواليا عشرات المجموعات تتنافس في إظهار الانتماء والولاء والوفاء للمبادئ المؤسسة، حيث ثبت نزولها للشارع ومشاركتها في أحداث الثورة التونسية من 17 ديسمبر 2010 إلى 14 جانفي 2011 ورددت مجموعات الألتراس

أغانـي منعرجـات الملاعب في كل شـوارع المدن التونسـية، ويوم 14 جانفي 2011 كانت حاضرة بقوة في شـارع الحبيب بورقيبة أمام وزارة الداخلية لطرد الدكتاتور

4. صراع قديم متواصل بين رجال الأمن والجمهور

موقف إختزل علاقة الجمهور وخاصة الألتراس من رجال الأمن عندما كرم رئيس النادي الافريقي هيكل دخيل في مباراة دربـي العاصمة مع الترجي الرياضي التونسـي يـوم 20 أفريل 2025 بمناسـبة الاحتفـال بالذكـرى 69 لعيـد قـوات الأمـن الداخلي الذي كان قبل يومين مجموعة من الأميين

الخطـوة أثـارت غضبـا واسـعا فـي صفـوف مجموعـات الالتـراس والكورفانـور وصفتهـا بالمجانيـة والمهينـة وأن المبادرة لا تمثلها واعتبرتها تملقا وإذلالا

وذكّـرت بقضيـة وفاة المشـجع عمـر العبيدي فـي 2018 وتواصل المداهمات والإيقافان موجهة توبيخا شـديد اللهجة لمسـؤولي ناديها، هـذا الموقف مثال يؤكد تشـنج العلاقة بين مجموعات الألتراس ورجال الأمن

علاقـة دقيقـة ومركبة منذ أجيال، شـابها الكثير من التشـنج وانعـدام الثقـة. الصدام بين الأمـن والجمهـور الرياضي عادة قديمـة، يعـد له منـذ بداية الأسـبوع بتنامي حالـة الاحتقان في المزاج العام للجماهير وصولا إلى يوم المباراة أو يوم الصدام

بالنسبة لمجموعات الألتراس ولا شيء يمنع من انفجارها في عديد المناسبات دون سابق إنذار ومن غير أسباب منطقية

وفي زمن منصات التواصل الاجتماعي، أصبحت هذه المواجهات معلنة مسبقًا أكثر من ذي قبل، تتحدث عنها جماهير الألتراس الأكثر استعدادًا للتصادم مع الأمن، ولها في ذلك سرديات وحكايات

أرجع البعض سبب التنافر والصراع بين مجموعات الألتراس ورجال الأمن إلى الأسلوب الذي يتعامل به رجال الأمن مع الجمهور منذ عقود، حيث يتّهمونهم بالإفراط في الاستفزاز واستعمال العنف.

ولا ينفصل ذلك عما مرّ به الشارع التونسي من انتفاضات اجتماعية ومظاهرات احتجاجية قمعتها الأنظمة السابقة بتعليمات القيادات الأمنية.

حافظوا على ذات السلوك الأمني المتشدد في التعامل مع جمهور كرة القدم والأحداث المأساوية القديمة ما زالت حاضرة في الذاكرة الجماعية للألتراس فهم لا ينسون الصدامات الكبرى وسقوط الجرحى والضحايا. ولا تتردد المجموعات في إعادة جولات مع رجال الأمن في كل مناسبة بسبب وبدونه.

لا يمكن نكران إفراط الإدارة الأمنية في استعمال العنف للرد على شغب الملاعب في فترات سابقة، وحاولت بعد

الثـورة تعديل الأمور وتجنب الأخطاء الماضية، لكن يشـتكي بعض جمهور الملاعب من اسـتفزاز بعـض الأمنيين بدورهم وهم عادة من فئة الشـباب ويناصرون أنديـة بعينها فيقعون في بعض التجاوزات الفردية لكنها مكلفة بسبب خصوصية بعض المباريات

حاولت وزارة الداخلية التخلي عن آلية التعليمات الشفوية، وحاولت القيادات الأمنية تطبيق القانون والتخفيف من التوتر بالمشـاركة فـي العديـد من النـدوات التـي تبحث فـي طبيعة العلاقـة بين الأمـن والجمهور الرياضـي، والبحث عن حلول لمرافقة المباريات ذات الخطر العالي إلى برّ الأمان

رغـم ذلك مازلنا في حاجة إلى مزيـد من العمل والاجتهاد وفتح الآفاق وتنويع المبادرات

فمازال حجـم الهوة كبيرا بالرغم من ومحاولة إدارة النادي الإفريقـي التخفيف من هذا التنافر والتشـنج رفـض الجمهور بشـكل قطعـي أي محاولـة للصلـح أو إعـادة العلاقـات إلـى طبيعتهـا. الموقـف يعكـس أن العلاقة لن تتغير في المسـتقبل القريب، خاصة وأن قضية عمر العبيدي ما زالت تلقي بظلالها الثقيلة.

وفي ظل تشـابك وكثرة مسـببات الشـغب، ستظل ميولات الصدام قائمة، وسـتواصل أطراف مستفيدة من حالة الاحتقان

داخـل وخـارج المدرجـات تغذيتها، بما يشـكل خطـرا يهدد السلم الاجتماعي والتعايش داخل المجتمع التونسي.

الفصل السادس

المنظومة القانونية والمؤسساتية

بعد « الثورة » عمّت الفوضى في غياب قوانين ومؤسسات تؤمن حسن سير وسائل الإعلام بأن عرف القطاع حالة من التنمر بلغت حد التحريض على العنف بأنواعه ما تطلب بالضرورة قيام هياكل للتنظيم والتعديل، فجاء دستور 2014 بجملة من التشريعات التي بشرت بالإصلاحات التي طالب بها القطاع قبل غيره

فأولى دستور2014 اهتماما خاصا بضبط وتنظيم مهنة الصحافة والإعلام بأن نصَّ المشرع في الفصل 31 على حرية الرأي والفكر والتعبير والإعلام والنشر ومنع أي نوع من الرقابة المسبقة على هذه الحريات، وهو القانون الأعلى في الدولة لا يسمح بأيّ حال من الأحوال وبأي سلطة أو قانون فرض منع ممارسة هذه المهام المضمونة دستوريا.

والفصل 32 من الدستور يضمن حق الإعلام في النفاذ إلى المعلومة والدولة هي من يتكفل بذلك، فتضمن الحق في النفاذ إلى المعلومة وإلى شبكات الاتصال ونظم سير هذا القطاع بمجموعة من الهيئات الدستورية المستقلة محددا دورها في دعم الديمقراطية ومؤسسات الدولة.

وكان المرسوم عدد 116 لسنة 2011 قد وضع الإطار القانوني لإنشاء

الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي والبصري كهيئة دستورية مستقلة أحدثت بمقتضاه سنة 2013

ونظم المرسوم عدد 115 المؤرخ في 2 نوفمبر 2011 الصحافة والطباعة والنشر وصدر بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية في نوفمبر 2011 ما يؤكد على ضمان حرية التعبير والنشر وتداول وتلقى الأخبار والآراء والأفكار مهما كان نوعها حسب المادة الأولى للمنشور

« لا يمكن التقييد من حرية التعبير إلا بمقتضى نص تشريعي وبشرط أن تكون الغاية منه تحقيق مصلحة مشروعة تتمثل في احترام حقوق وكرامة الآخرين أو حفظ النظام العام أو حماية الدفاع والأمن الوطني »

وتولى المنشور حماية الصحفيين والصحف الدورية ونظم الشفافية بأحكام دقيقة تضمن الوضوح في الإدارة ومعدلات السحب والموازنات السنوية والإشهار ونظمه.

وجاء القسم الخامس للمنشور بأحكام التصحيح وحق الرد لضمان الحقوق وحفظ كرامة الناس وحدد العقوبات التي تترتب عن المخالفة

وضمن القانون حماية خاصة للصحافي وهي:

-الحمايـة الجزائيـة للصحفي مـن الإهانـة أو التعدي عليه بالقول أو بالإشـارة أو التهديد أثناء مباشـرة عمله طبقا للفصل 125 من المجلة الجزائية

مما تقدم نخلص إلى أن المنشور عدد 115 المتعلق بحرية التعبيـر والاسـتقلالية وحقـوق الصحفيين أعطـى الضمانات والحماية حتى يؤدي الصحفي عمله دون ضغوطات لا رقيب عليه إلا ضميره وأخلاق المهنة، وبقدر ما منحه مجالا فسـيحا في الاسـتقلالية فإنّه قد وضع ضوابط يجب على الإعلامي أن يراعيها وإلا سـيكون عرضـة للملاحقات القضائية إذا وقع في خطـإ مهني لا يمكن أن تشـفع لـه صفته كصحفـي أو إعلامي للنجاة من العقاب.

ليأتـي دور الهيـاكل القطاعيـة التي يجب أن تـؤدي مهامها وتواكب الأحداث فتكون سريعة وناجعة التدخل إذا استوجب الأمر

1. النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين:

هو هيكل نقابي تأسـس في 13 جانفي / يناير 2008 وكان يسـمى إبّـان ظهـوره أول مـرة عـام 1962 برابطة التونسـيين للصحافـة التي تحولـت عـام 1969 إلى جمعيـة الصحافيين التونسيين.

وهـي منظمـة مهنيـة مسـتقلة تدافع علـى الحقـوق المادية والمعنويـة للصحافيين مـن أجل ضمان حرية الـرأي والتعبير

بحماية الصحفيين من الضغوطات التي تحد من استقلاليتهم في أداء واجباتهم

ومن خلال القانون الأساسي الذي تمت المصادقة عليه في المؤتمر الاستثنائي بتاريخ 19 ماي 2017 وحسب الفصل الثاني والنقطة الثانية المحددة لأهدافها المتعلقة بصيانة المهنة وضمان احترام ميثاق شرفها

والفصل الثامن نص على حالات فقدان صفة العضوية في النقابة من أجل خطأ فادح ينال من شرف المهنة حسبما ينص النظام الداخلي وميثاق الشرف ورغم ذلك يبقى ميثاق الشرف عرضة للتجاهل والتجاوز.

2. جمعيات الإعلام الرياضي

عرف تطور المسار التاريخي لجمعيات الإعلام الرياضي في تونس منعرجا دقيقا عندما تناقضت الأفكار والاتجاهات صلب الجمعية الوحيدة وقتها و هي جمعية الصحافيين الرياضيين التونسيين وبرزت التجاذبات والشقوق بمناسبة إصدار الجمعية بتاريخ 28 مارس 2019 منشورا ترحيبيا بالعاهل السعودي بمناسبة انعقاد الدورة الثلاثين للقمة العربية بتونس في شهر أفريل 2019 لم ينل رضى مجموعة من الإعلاميين والصحفيين الرياضيين الذين عبروا عن موقفهم من خلال بيان صادر بتاريخ 3 أفريل 2019 معتبرة أن الجمعية قد حادت عن الثوابت القانونية والأدبية التي تأسست

بموجبها سنة 2011 معترضين عن الخلط بين السياسي و المهني مطالبين بصحافة رياضية مستقلة و غير مسيّسة الأمر الذي عجل بتأسيس جمعية ثانية بتاريخ 15 جوان 2019 و هي الجمعية التونسية للإعلام الرياضي .

لتبقى التحديات قائمة أمام القطاع حيث لم يكن مناخ الحرية الذي تحقق بعد الثورة كافيا لقيام إعلام يؤدي مهامه بالطريقة المثلى بل الواقع يؤكد عكس ذلك حيث ظهرت صعوبات مرتبطة بطبيعة الإعلام الذي ساد في سنوات الحكم السلطوي.

ففي مقال صحفي لأستاذ الإعلام والاتصال صلاح الدين الدريدي تحت عنوان « بعد الحرية أصبحنا في حاجة إلى الحرفية » نشر في جريدة الشروق التونسية بتاريخ 16 فيفري 2019

قال «لقد جربنا التصورات المسقطة التي أتت بها المنظمات الدولية غير الحكومية التي تمسك بآليات الإصلاح الإعلامي تصورا وتنفيذا وتمويلا وظهر بالكاشف أنها لا تتطابق مع متطلبات المشهد الإعلامي محليا ووطنيا».

ونشرت شبكة الصحفيين الدوليين مقالا للصحفية ليامنة القابسي في 30 أكتوبر 2018 تحت عنوان « مشهد الإعلام التونسي في الصيف السادس على الثورة » نقلت خلاله رأيا للأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار الدكتور نور الدين

الحـاج محمـود مديـر وحـدة التنسـيق المركـزي للإذاعـات التونسية

قـال « المضمـون الإعلامـي فـي تونـس لا يمكـن تصنيفه ضمـن الإعـلام » وأضاف « أن ما يقدمـه الإعلاميون لا يرتقي إلى درجة الإعلام لمفهوم السلطة الرابعة »

ودعـا إلـى توفيـر كافـة الإمكانيـات والحصانـة أمـام هذه القـوى الكبـرى التي تسـتغل الإعلام مـن خـلال العمل على تغييـر المضمـون الإعلامي المبطن برسـائل تدعو إلـى الفتنة أو الانحـلال الأخلاقـي وبث خطاب مضاد عبـر إنتاج أعمال إعلامية تتميز بالمهنية والحرفية.

وفي ذات المقال تحدثت رئيسة المرصد الوطني للصحفيين التونسـيين هبة عقوبي عن صعوبة التقصـي والمتابعة ويحتاج الدقـة في ظل ضعـف القوانين والتشـريعات المنظمة للمجال الإعلامـي نحـو إرسـاء إعـلام حـر ونزيـه ووضع حـد لحالة الفوضى التي بات عليها القطاع.

3. حرية الصحافة والإعلام بين دستورين

وفي مقارنة سـريعة تتضح أفضلية دسـتور 2014 من حيث وضوح التنصيـص على حرية الرأي والفكر والتعبير والإعلام والنشر ودعّمها بضمانات مؤسساتية وإجرائية لحماية الإعلام من تدخل السلطة التنفيذية

حيث أكد الفصل 31 على منع الرقابة المسبقة على الصحافة

وشدد على ضمان حرية الإعلام والحق في النفاذ إلى المعلومة بموجب الفصل 32

وأحدث هيئة دستورية مستقلة هي الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري (الهايكا) لضمان التعددية والاستقلالية

وحسب الفصل 49 تمّ التنصيص على أن القيود على الحرية لا تكون إلا بقانون يهدف إلى حماية حقوق الغير أو الأمن العام بمعنى أن الدستور كان يضع ضمانات مؤسساتية وإجرائية لحماية الإعلام من تدخل السلطة التنفيذية

في حين اكتفى دستور 2022 بتكرار مبدأ الحرية في الفصلين الفصل 37 و38 لكنه حذف الإشارة إلى الهيئات المستقلة مثل الهايكا، وجعل ضمان الحريات مرهونًا بإرادة الدولة

ألغى مبدأ التوازن بين السلطات، مما قلّص استقلال المؤسسات الضامنة للحريات ولم يُشر إلى حق الصحفيين في حماية مصادرهم كما كان ضمنيًا في 2014

وأبقى على إمكانية تقييد الحرية بمقتضى قانون

4. قانون 54 من الانفلات الى الانتقائية

صدر قانون 54 لسنة 2022 وكانت غايته مكافحة الفوضى والإشاعة والأخبار الكاذبة في الفضاء الرقمي كرد على الانفلات الإعلامي بعد الثورة وانتشار صفحات ومحتويات أضرت بالمشهد الإعلامي العام للبلاد

لكن ما حصل كان بعيدا عن الإصلاح وعن إيجاد مقاربة تنظيمية متوازنة للقطاع، بل جاءت نتائجه عكسية جعلت المنظمات الحقوقية والمهنية وجمعيات المجتمع المدني وعددا من أعضاء البرلمان والشخصيات الوطنية تطالب بإلغائه والتخلي عنه لعدم تناسبه مع مطالب الثورة ومكاسبها فعليا أدى إلى تراجع حرية التعبير بتقييد الصحفيين خشية الملاحقة، فيما بقيت الفوضى قائمة ولم تتوقف، بل أخذت أشكالا أخرى أسوأ مما كانت عليه وأتعس من ذلك حيث أُستُخدم القانون انتقائيًا ضد معارضين أو منتقدين للسلطة، وزادت الرقابة الذاتية داخل المؤسسات الإعلامية، وتراجعت ثقة الجمهور في الإعلام الرسمي، وازدهرت الصفحات العشوائية غير الموثوقة ممّا أدى إلى خلط المفاهيم وتشابكها وغموضها في ظل استمرار الفوضى الإعلامية وانكماش حرية التعبير

5. تعثر مشروع قانون الهياكل الرياضية

أثـارت حادثـة وصول السـباح التونسـي أحمـد الجوّادي، الحاصل على بطولتي العالم في سـباقي 800 م و1500 م في سـنغافورة، دون أي حضور رسمي لاسـتقباله في مطار تونس قرطاج، جدلاً واسـعًا لـدى الرأي العام الرياضـي. علّق عديد مـن المتابعيـن أن هذا المشـهد لم يكن غريبا، بـل العكس هو الذي يثير الدهشة، وقاعة الشرف ليست لأبطال البلاد

المفارقة أن اللجنة الأولمبية الوطنية التونسـية سارعت بعد الضجة إلى استقبال السـباح أحمد الجوّادي في مقرها، حيث قامت بتكريمه ومكافأته، ثم اسـتقبله القصر الرئاسـي ليتدارك بمنحه الصنف الأول من الوسام الوطني للاستحقاق في قطاع الرياضة قبـل أن تلتحق الوزارة متأخرة عن الركب بخطوة عن الأحداث، حالة سـلبية أصابت المسـؤول الرسمي في الإدارة التونسية، وأنتجت سلوكيات روتينية أفسدت كل إرادة للإنجاز والذهاب إلى الأمام.

فما الضرر لو بادر المسـؤول وأخذ بزمام الأمور واسـتعان للحظـة بـروح قياديـة يحقـق بهـا الإضافـة وتمنحـه الجدارة بالاحترام، بعيدا عن الوجاهة والفخامة الكاذبة.

وفـي خضـم الفشـل المتراكـم دون إرادة إصـلاح، يصبح الخوف بإمكانيّة

أن تعـوض الإدارة مهامهـا فـي التأطيـر والتطويـر والعناية بالرياضـة والرياضييـن والفنييـن والتنظيـم والبنيـة التحتيـة والإخلاص في آداء واجبها

بالملاحقات القضائية لمن يتجرأ ويكشف تقصيرها ويلفت انتباههـا للأخطـاء والإخلالات والمرسـوم 54 سـيئ الذكر، كفيل بانجاز المهمة على أكمل وجه.

فقـد أسـاء لصورة البـلاد في الداخـل والخارج ومـن بينها الرياضية التي تشهد تراجعًا مطردًا.

والتقصير ليـس عرضيًا وطارئًا محدود التأثير بل هو روتين معتـاد يطـل علينـا كل مـرة من مـكان يفـزع ويرهب ويسـلب الطمأنينة على مستقبل البلاد والعباد.

إنّ الحديث عن كواليس الإدارة الرياضية التونسـية يكشف عـن أسـلوب متخلف فـي التعامـل مـع الوقائـع والأحداث، أسـلوب ما يـزال محكومًا بقوانيـن تجاوزها الزمـن، ولم تعد تتماشى مع متطلباته ولا مع طبيعة الرياضة في هذا العصر

ورغـم كل ذلك، تبقى هـذه القوانين البالية صامدة في وجه المجتمع الرياضي تتحداه، مهما عبر عن رفضه، وشرح وفسر لسـنوات طويلـة عجزها عـن مواكبـة العصر وحل المشـاكل الراهنة

وقـد يكـون المثال الأكثر تعبيـرًا عن هذه الحالة المأسـوية التي تراوح مكانها منذ سـنين هو مشـروع القانون الأساسـي

للهياكل الرياضيـة، الذي تحول إلى قصة من قصص ألف ليلة وليلة، سلسلة طويلة من التسويف والهروب إلى الأمام، حيث تتواصـل جولاتـه في متاهـات الأروقة والمكاتـب، فلا تنتهي الاجتماعـات واللقاءات والنقاشـات والتعديـلات بيْن لجان ومجالس لا تكاد تنتهي بل لا يكاد يكون لها أثر

رغم المشاكل المركبة التي تعيشها الرياضة التونسية وتنذر بخطر داهم، لا يتعجل أحد إصدار القانون الأساسـي للهياكل الرياضيـة، ومع ذلك، يبقى أمل الرياضييـن كبيرًا في صدوره، ممّا قد يخفف من المشكلات والصعوبات، ويعيد القطاع إلى مستويات سابقة تراجعنا عنها كثيرًا،

تنقل مشروع القانون بين اللجان ومجالس الوزراء، وأجمع الخبـراء أن القانون الأساسـي عدد 11 لسـنة 1995، المؤرخ فـي 6 فبرايـر 1995 المتعلـق بالهيكل الرياضي، لـم يعد يفي بالحاجـة فـي حوكمة الهيـكل الرياضـي، ولا يوفـر الحصانة اللازمة للتصرف المالي والإداري

ومـن الضـروريّ تعويضـه بآليات جديـدة للتمويـل لدعم المـوارد الماليـة للهيـكل الرياضـي، وإيجـاد حلـول شـاملة لمواجهـة التهديدات التي تطال المنظومـة القيمية والأخلاقية بمقاربـة متكاملـة تعتمد علـى الجوانـب الوقائيـة والتنظيمية، وضمان آليات مقاومة للحماية

فمحاصرة غـول التعصب والشـغب والعنف في الملاعب أمر حتمي لأنّ هذا الغول بات يهدد التعايش السلمي للمجتمع ولا بد من إعادة تنظيم الأندية الرياضية وضمان استدامة المرفق العام الرياضي ودعم منظومة الرقابة

مـن خـلال التحـري في المتسـربين الذيـن فـي الظاهر هم متطوعون والحقيقة أنهم انتهازيون يمصون دم الأندية ويعبثون بمقدراتها ويقفزون من المركب إذا بدأ يغرق

ويعد مشروع القانون بتطوير البنية التحتية الرياضية وضمان دورية الصيانة والتعهد بالعناية.

ورغم ما يشوب إصداره من تأخر وتعطّل، فإنه يبقى الملاذ الأخير للرياضة التونسـية، ومهمـا كانت العيوب التي قد تظهر فيمـا بعد، فهو أفضـل من قانون 1995 الذي مـر عليه ثلاثون عاما عفي عليه الدهر وما عاد يستجيب لمتطلبات الحاضر.

6. في غياب الهايكا

ناضـل الإعـلام التونسـي لعقـود مـن أجـل حريـة التعبيـر واسـتقلال الـرأي، وتصـدى لأي سـلطة أرادت أن تضـع اليد عليه والسـيطرة على إرادته وتكميم الأفواه، واعتقال الأفكار، ومحاصـرة الرأي المخالف الـذي يعدل الاتجاهات ويصحح عقارب البوصلة

وجـاءت ثـورة 17 ديسـمبر 2010 – 14 جانفـي 2011 وقـدم الشـعب التونسـي تضحيات جسـاما لتحريـر البلاد من

ديكتاتورية تعود إلى زمن نشأة دولة الاستقلال وتواصلت إلى 2 نوفمبر 2011 تاريخ صدور المرسوم 116 المتعلق بحرية الاتصال السمعي والبصري وإحداث هيئة عليا مستقلة للاتصال السمعي والبصري

نص فصله الأول أنه « يضمن هذا المرسوم **حرية** الاتصال السمعي والبصري وينظم ممارستها ويحدث هيئة تعديلية مستقلة للاتصال السمعي والبصري»

عرفت الهيئة الكثير من التجاذبات السياسية بين أطراف سياسية كثيرة ظهرت في ظل الأوضاع الجديدة وحاولت أن تستغلها إلى أبعد الحدود في اتجاه كسب النفوذ بهدف الترويج لأيديولوجياتها ومشاريعها ومصالحها في الحكم والسلطة، وفي ذات الوقت عزل المنافسين والتصدى لهم. فتجرأت بعض المؤسسات الإعلامية على رفض قرارات الهايكا وتجاهلها مستقوية بالطرف السياسي الذي يدعمها

وفي بيان صادر عن الهيئة الوطنية للاتصال السمعي البصري في 3 ماي 2017، نبهت إلى خطورة انعكاساتها على حرية العمل الصحفي واستقلاليته

وقد تزامن البيان مع اليوم العالمي لحرية الصحافة والذكرى الرابعة لبعث الهيئة، وطالبت بضرورة تجميع الطاقات من قبل المهنيين والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني لمواجهة هذه التراجعات الخطيرة واتخاذ مواقف تاريخية من قبل

نواب الشعب لتصحيح المسار والحيلولة دون تمرير قوانين فيها ضرب لحرية العمل الصحفي واستقلاليته

ودعت القائمين على المؤسسات الإعلامية إلى «تحمل مسئولياتهم والنأي بمنشآتهم عن كل ما يمكن أن يمس من استقلاليتها ويضر بإنجاح المسار الديمقراطي والإيفاء بالتزاماتهم وفي مقدمتها تحسين وضعية الصحفيين الاجتماعية»

واجهت الهيكا صعوبات كثيرة في القيام بعملها التعديلي، فأكدت بتاريخ 11 أكتوبر 2022 « تسجيلها لتضييقيات على حرية الإعلام والتعبير من خلال ممارسة بعض القضاة للرقابة المسبقة على مضامين إعلامية وتجاوزهم لصلاحيات الهيئة التعديلية»

ودعت وزارة العدل والمؤسسات القضائية إلى وضع حد لهذه التجاوزات، كما دعتهم إلى تحمل مسئولياتهم في ضمان تطبيق القانون، وحماية الحقوق والحريات، واحترام مبادئ حرية الأعلام وصلاحيات الهيئة التعديلية

وذكرت الهيئة بأن القطاع السمعي البصري يخضع لآلية التعديل التي يثبتها المرسوم عدد 116 لسنة 2011 والذي يعهد للهيئة بصفة حصرية مهمة مراقبة مدى تقيد القنوات التلفزية والإذاعية بالقوانين والترتيب الجاري بها العمل واتخاذ الإجراءات اللازمة في حالة ثبوت خروقات على

مستوى المضامين التي تبثها كما أوقفت بالقوة العامة بث بعض القنوات التلفزية والإذاعية لعدم الالتزام بقرارات الهيئة وعدم حصولها على رخص قانونية وتسوية وضعيتها القانونية

وأحياناً عجزت عن تنفيذ قراراتها وصودمت بقنوات أصرت على مواصلة البث متمردة عن القانون مسنودة من أحزاب أو أطراف سياسية عرقلت قيام الهيئة بدورها

وكان يوم 29 ديسمبر 2023 منعرجاً بارزا في تاريخ الهيئة حيث أبلغت الحكومة الهايكا بإيقاف الرواتب بداية من مطلع 2024

أرجع بعض الملاحظين ذلك إلى رفض الهيئة توقيع القرار المشترك مع هيئة الانتخابات في نوفمبر 2020 ورفض المرسوم 54

في 15 مارس 2023 أصدرت الهيئة بياناً يحذر من عواقب إحداث فراغ في رئاسة الهيئة عندما أُنْهِيتْ مهام رئيس الهيئة النوري اللّجمي وأحيل على التقاعد في 6 فيفري 2023

وتفاقم الوضع بعدم رد رئاسة الجمهورية على طلب تعيين صالح السرسي رئيسا مؤقتا إلى حين عرض مشروع القانون الأساسي المنظم للهيئة والقطاع على أنظار مجلس نواب الشعب وتسليم العهدة إلى مجلس جديد لم يتحقق

أرجع الباحث في علوم الإعلام والاتصال الصادق الحمامي فشل السياسات العمومية لقطاع الإعلام إلى عدم إرادة الفاعل السياسي في إصلاحه وتركه ينهار

وقد تكون القشة التي قسمت ظهر البعير هي معاقبة التلفزة الوطنية بخطية مالية قدرها 20 ألف دينار في 23 ديسمبر 2021 بعنوان خرق الصمت الانتخابي في خطاب مباشر من مركز الاقتراع لرئيس الدولة قيس سعيد صبيحة الانتخابات التشريعية يوم 17 ديسمبر 2022

وطبقت أحكام الفصلين 69 و155 من القانون الأساسي عدد 16 لسنة 2014 المؤرخ في 26 ماي 2014 والمتعلق بالانتخابات والاستفتاء، كما تم تنقيحه وإتمامه بمقتضى النصوص اللاحقة له

لم يكن مشوار الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري سهلا بالمرة. فمن التجاذبات السياسية ومحاولة التدجين ووضع اليد إلى العمل على إفراغها من الداخل وعدم تعويض من تنتهي عهدته وايقاف أجور من بقي على ذمة الهيئة، ومنع إصدار المراسلات وعدم عرض أي مشروع قانون على مجلس النواب لإنعاشها وإعادتها إلى الحياة والعمل والاكتفاء بالهروب إلى الأمام والانتظار

وفي انتظار أي بادرة أو محاولة أو نية تفعيل لبعث هذه الهيئة، تتواصل حالة الفوضى في الإعلام، وتحديداً الإعلام

الرياضي الذي في جزء كبير منه أصبح خطراً داهماً على السلم الاجتماعي، ولا يمكن التوقع بما يمكن أن يحدث خلال مباريات كرة القدم. وقبلها البرامج الرياضية التي تسكب الزيت على النار ولا تلتزم بأي ضابط أخلاقي أو مهني أو إنساني

7. من المستطيل الأخضر إلى مربع القضاء إلى الغرف السوداء

باتت كرة القدم في العالم منتوجا عالي التكلفة والجودة تجارة رابحة تلقى ملاعبها الفارهة إقبالا منقطع النظير في الجذب والاهتمام، تؤمن الفرجة الممتعة والعرض الراقي يؤديه أمهر وأشهر وأفضل اللاعبين المحترفين من كل أنحاء العالم في ملاعب غاية في جمال الهندسة و إبداع التصميم تنافست البلدان و الأندية في الإتقان و الإبداع و الابتكار فأضحت تحفا و دررا معمارية نفيسة تقام عليها بطولات قيمتها التسويقية خيالية تستعين في التنظيم بأحدث و أقوى تكنولوجيات الفنون البصرية و أروع التقنيات المبهرة يشارك فيها أشهر مخرجي الأحداث الكبرى و السينمائيين و أعظم الفنانين من شتى الفنون والمهنيين المحترفين وجيوش المتطوعين تنفذ خططا و استراتيجيات تسويقية عبقرية

تنقلها المحطات التلفزيونية التي تتنافس على الظفر بحقوق البث بمبالغ خرافية فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنجو

كل هـذه المنافـع والأربـاح والسـمعة والصيت مـن أصحاب القـدرة والتكويـن وتحديدا المحامين ورجـال القانون عموما وهـم موضـوع الحديـث في هـذا الحيـز ينافسـون الرياضيين واهـل المهن الرياضية وحتى يتفوقون بفضل معرفتهم الدقيقة بتفاصيل القوانين الرّياضية وفجواتها وما تتطلّبه من إجراءات

هـذا فضـلا عمّـا يتوفـرون عليـه مـن خلفيـة متمرسـة بفن التجميع والتفكيك وتشكيل التحالفات والتصدي للاختلافات والمنـاورة والخطابـة واللإقنـاع وتركيبـة القائمـات وإدارة الانتخابات والمعارك

حصلـوا علـى مواقـع القيـادة في اللعبـة وتنامت سـلطتهم ونفوذهـم وتضخـم الأنـا فأهمـل بعضهـم الشـأن الرياضـي التونسـي ووجهـوا كل اهتمامهـم نحـو تحقيـق طموحاتهـم الشـخصية وبلـوغ مناصبة في الاتحـادات القاريـة والإقليمية والدولية وبعضهم الأولمبية

فتتحقق الوجاهة والمكانة والحظوة والنفوذ وأشـياء أخرى ليصبح الرياضيون مجرد موظفين عندهم وتنفيذيين لقراراتهم التي لا تسـتجيب أحيانا الى مصلحة اللعبة وأصحابها وتتوجه لحسـابات ومناورات ومصالح شخصية ضيقة تنكشف أحيانا وتمـر خلـف السـتار أحيانا ما أضـر بكرة القدم خـلال العقود الأخيـرة، وقد تتواصل إذا لم يقع وضع حد لهذه الممارسـات

بمزيد من الوضوح والشفافية والإخلاص للمصلحة العليا للرياضة في هذا البلد

نقول هذا بسبب التلاعب الذي شهدته كرة القدم التونسية في العقود الأخيرة عصف بها فجعلها تتأخّر على ركب الأمم حيث تقرر اللجان والهيئات البعيدة أحيانا عن واقع اللعبة أو بغرور ملكية القرار أو الشرعية الانتخابية أو أي مشروعية يبرزونها لتبرير ما يتنافى مع المنطق والعدل والحق فيتعسفون ولا يملك الرأي العام الرياضي مكانا في حساباتهم

ولاحظ العدد المبالغ فيه من رجل القانون في مكاتب الجامعات الرياضية التونسية ولا ننكر وجودهم المتوازن مثل كل الاختصاصات والمهن والأفضل أن تبقى هيئات استشارية للمكتب الجامعي الذي يكون أساسا من الرياضيين تماما كما لا نقبل ان يكون المسؤول الأول على نقابة المحامين طبيبا وعلى عمادة الأطباء محاميا وعلى المحاسبين صيدلانيا

احتكر المتهافتون على الرياضة المجال كله واستبعدوا قدر المستطاع أهلها الحقيقيين

واستأثروا بالقرارات، وتضخم الأنا فهم يتعاملون في الغالب مع الشأن الرياضي وكأنهم وحدهم من يدركون أيْن تكمن المصلحة

أصدروا القرارات وتعسفوا كما أرادوا رغم تململ الرياضيين والتقنيين، ولم يحترموا القدامى، نصّبوا في اللجان

الفنيـة من والاهم ومشـى في ركبهـم وجعلوهـا ضعيفة فاقدة للمصداقية والثقة

بلغـت درجـات التلاعب والالتفـاف في العشـرية الأخيرة ذروتهـا فأصبحـت الحيل الإجرائيـة والقانونيـة ملعبا حاضرا بقوة في المشهد الرياضي تصارع فيه رجال القانون ورافعوا في الملفات القضائية على شاشات التلفزيون والبرامج الرياضية، حيث اسـتعرضوا براعتهم وأوهموا بسـعة اطّلاعهم بأسلوب كثيرا مـا يبلغ حدّ التطاول والثلب والقـذف والتهجم على من يعارضهم ويختلـف معهم في الرأي أو في المصلحة المتصلة بهم أو بموكليهم أحيانا

وكـم من قضايا رفعت من نقاشـات تلفزيـة وإذاعية وفيديو يتحـدى فيه أحدهم زميله فتشـتعل المعارك بين رجال القانون أنفسهم أو بينهم وبين الآخرين، فما عادت النتائج تقتصر على المسـتطيل الأخضر بل يجـب أحيانا انتظار اللجـان والهيئات للنظر والإعلان على النتيجة النهائية والترتيب

ولسنوات طويلة حال قانون المستوى الدراسي للرياضيين دون الترشح لعضوية الجامعة التونسية لكرة القدم إلى أن جاء التحـرك لإزالـة هذا الشـرط لعـدم المنطقية خاصـة أن بعض اللاعبين اكتسـبوا قـدرات هامة فـي التدريـب والتكوين وفي جودة الإدارة الرياضي وحسن الإلمام بدقائق الأمور

فتـم تعديل النظام الأساسـي للجامعة التونسـية لكرة القدم وأسقط القانون الجائر إثر الجلسة العامة الخارقة للعادة بتاريخ 21 ديسمبر 2024 التي سبقت الجلسة العامة الانتخابية

وأصبـح عدد مـن الرياضييـن القدامى الذيـن يمتلكون قوة شخصية وكاريزما وقدرة على تحمل المسؤولية مهيئين لقيادة الجامعـة أكثر من بعـض المرابطين في مكاتـب ومراكز القرار الرياضـي المتحصنيـن بنظـام بيروقراطي فاشـل يحرص على الاستقرار ويكره المبادرة والتجديد

وتزخر الساحة الرياضية بأسماء عدة تحظى باحترام النوادي والشخصيات والأطراف المتداخلة في اللعبة يمكن أن تخرج بالقطـاع إلـى شـط الأمـان بشـرط تكاتـف الجهـود والعمـل لتخليص الرياضة التونسية من تراكم شوائب الماضي

وقد ألتقي مع من يرى أن الوزير السابق في فترتين صاحب الكـرة الذهبية الإفريقية عام 1977 طارق ذياب ورغم صعوبة المرحلة التي عُيّن فيها وزارا للشـباب والرياضة في فترتين من 24 ديسـمبر 2011 إلـى 13 مارس 2013 ثـم من 13 مارس 2013 إلـى 29 جانفـي 2014 وبعيـدا عـن السياسـة، نجـح فـي المهمة وليس الجامعـة أكثر صعوبة وتعقيـدا من الوزارة، وأدارها أفضل ممن هم أعلى منه شهادة أكاديميا

فـلا يمكن أن ننسـى من تلاعب بالمرفق العـام لمدة طويلة بمعيـة عصابة اسـتولت علـى الكرة التونسـية وجعلتهـا ملكية

خاصـة لا يقتـرب من دائرة القـرار فيها إلاّ مـن يرضى كبيرهم عنه

أسـلوبهم فـي الإدارة مكشـوف للـرأي العـام الرياضـي، بالعلاقات المشبوهة وخبرة التلاعب بالقانون وإتقان اللوبينغ والتكتلات والمؤامرات والضرب تحت الحزام.

عانـت كـرة القـدم التونسـية مـن عصابـات جثمـت علـى صدرهـا لسـنوات طويلة مع تحالفات أحكمـت القبض عليها وقطعت أنفاسها وقادتها إلى خيبات متتالية مرفوقة بمهازل في الاختيارات والتعينات التي تستند على الصداقات والولاءات الملغومـة بالمنـاورات ضد الأشـخاص والسـلطة والجمهور والرأي العام بحسب الحاجة والمصلحة الخاصة

أحكمـوا قبضتهـم علـى الكـرة مـن كل مفاصلهـا فمنحوا الامتيـازات والهدايـا المجانيـة لمن أرادوا وبلغوا السـماء من تضخـم الأنا وظنوا ألا يقدر عليهم أحد ويصعب إزاحتهم من المشـهد الرياضـي وأن الملعـب ملك لهم لا يمكـن لأحد أن يرغمهم على مغادرته استعلاء وتكبرا

فلهـم المـال والنفـوذ وقوة العلاقـات ولا يمكـن لأحد أن يرغمهم على المغادرة.

تعالوا على شعب الكرة الذي رفضهم الى أن التأمت الجلسة العامـة الخارقـة للعـادة. ففـي 21 ديسـمبر 2024 تـم تعديل

القانون الداخلي للجامعة التونسية لكرة القدم وفُتح المجال أمام من يريد أن يتقدم ويترشح إلى المكتب الجامعي.

لم تنجح أي من القائمتين اللتين تضم لاعبين قدامى لهم من القدرات والكفاءة والشخصية القيادية، وأعيد إنتاج مكتب جامعي جديد في نسخة معدلة من سابقه عّبر رياض البوعزيزي في لقاء شهير بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات عن فائق من الامتعاض وخيبة الأمل وها هو رئيس لجنة الاستئناف السابق واللجنة المستقلة للانتخابات يصعد الى رئاسة الجامعة وكان له موقع تنظيم الانتخابات وكانت له قبلُ مهمّة اسقاط القائمات التي ترشحت لرئاسة المكتب الجامعي لكرة القدم في 23 فيفري و20 و30 أفريل و4 ماي 2024

لم تكن صفحة من التاريخ التي طويت بمن في المكتب الجامعي القديم

بل تواصلت في الجديد حيث قرر المكتب الجامعي لمعز ناصفي تعيينا خارج الجلسة العامة الخارقة للعادة رئيس لجنة استئناف مُجرح في حياده معلوم انتماؤه، هاجم سابقا في تدوينات على منصات التواصل الاجتماعي أندية أخرى.

أصدرت اللجنة قرارات أثارت اعتراضات الأندية وأنتجت حالة من التململ والاحتقان تداولت في شأنها وسائل الإعلام وتطورت إلى اتهامات والتهديدات عالية اللهجة.

8. معضلة الإشهار العمومي

نظريًا ومنطقيًا، الإشهار العمومي هو تلك الإعلانات التي تمول من المال العام، مصدره جيوب الشعب التونسي، وترصد لفائدة تصرف الدولة لاستخدامها في المصلحة العامة، للارتقاء بالوعي الجماعي بالوصول إلى المعلومات، والاطلاع على ما يدور من حوله بشفافية ووضوح. فيشارك كل من موقعه في رسم خريطة طريق لحياة ديمقراطية عادلة، تستجيب لمطالب الشعب وطموحات شباب الثورة الذين خرجوا مطالبين بالحرية والكرامة وقدموا من أجلها التضحيات الجسام فالإشهار العمومي عامل محفز لتطوير المنظومات وتجويد المضامين الإعلامية الهادفة، ويجعل علاقة الدولة بالإعلام واضحة وشفافة، بما يحقق مبادئ الثورة وأهدافها.

فلا يمكن أن يقتصر الإشهار العمومي على كونه أداة ترويجية أو مورداً مالياً فحسب، بل مطلوب منه أن يُنصف ويعدل بآلية واستراتيجية شفافة، تستجيب لطموحات القطاع الذي عانى سابقًا من ممارسات مرتبطة بالولاء للسلطة وإقصاء الإعلام المستقل.

وقد استُخدمته وكالة الاتصال الخارجي للتحكم والضغط والإقصاء، فبات إصلاح منظومته اختبارًا حقيقيًا لالتزام الدولة بعد الثورة بمبادئها القائمة على الشفافية والعدالة والمساءلة

لكن للأسف لم تجر الرياح كما تمنى شباب الثورة وكما يقول المثل التونسي الفصيح – هربنا من القطرة – جينا تحت الميزاب –

كيف ذلك؟؟؟

ملف الإشهار العمومي في تونس، على حساسيته وخطورة تأثيراته على واقع البلاد، أرادت له الطبقة السياسية أن يظل مهمشًا، متجاهلة إياه عمدًا، في الأدراج السفلية للمكاتب المظلمة، مما جعله يراوح مكانه رغم المطالب المتكررة من الجهات المتضررة من مثل هذا الغياب

ملف الإشهار العمومي أهملته إرادة الدولة، وكل المحاولات التي قادتها الهياكل النقابية والجمعيات المدنية والهيئة المستقلة للاتصال السمعي والبصري وبعض النواب لم تنفع، تاركة المطالب تراوح مكانها والأصوات التي طالبت بفتح الملف سدت عنها الآذان فلم يسمعها أحد

في الفترة من 17 ديسمبر 2010 وحتى 14 جانفي 2011، وبعد الثورة مباشرة، توقفت الإعلانات التجارية وركزت الدولة على إحداث المجلس التأسيسي، وخلال ذلك كان الخطاب الإشهاري عبارة عن رسائل مرتبطة بقيم الديمقراطية والحقوق الاجتماعية والمواطنة، مع محاولة الفصل بين الإعلام العمومي والرسائل الدعائية الحكومية وتحسين الشفافية لتمويل الإعلام ومع مطلع 2015 طالبت الأوساط

المهنيـة بإحـداث هيكلـة تنظيميـة عبـر اقتـراح إنشـاء الوكالة الوطنية للإشـهار العمومي، وضمان توزيع الإعلانات بشـكل عادل على وسائل الإعلام

غير أن ضعف السـوق الإعلاني التجاري وتراكم الأزمات المالية لوسائل الإعلام الخاصة حال دون تفعيل هذه الهياكل، بينما اسـتمر التمييز بين الإعلام الموالي والقريب من السـلطة والمعارض أو المستقل، ما أثار موجة نقد لاذع وأسئلة جوهرية حول الشفافية والحياد بعد إنجاز الثورة

بعـد 2021، تصاعـدت سـيطرة السـلطة علـى الإعـلام العمومـي، مع إعـادة توجيه الرسـائل الإعلانية الرسـمية وفق الأجنـدات السياسـية، واسـتمرار الجدل حول شـفافية توزيع الإعلانـات العموميـة والإضـرار بوسـائل الإعلام المسـتقلة والمعارضة ومعاقبتها بالحرمان

قانون الإشهار العمومي لم ير النور

وصل مشروع قانون الإشهار العمومي إلى اللجنة البرلمانية المكلفة بالإعلام والثقافة والشباب بمجلس نواب الشعب سنة 2014، وأجريت عدة جلسات استماع خلال 2018 و2019 للنقابـات والهيئـات المختصـة وممثلين عن رئاسـة الحكومة ووزارة المالية. وتم إعداد نسخة معدلة من المشروع تضمنت فصولًا لإنشـاء وكالة وطنية للإشهار العمومي، وضبط معايير شـفافة للتوزيـع وآلية تمويـل صندوق اجتماعـي للصحفيين،

لكن المشـروع لم يُدرج ضمن أعمال الجلسة العامة للبرلمان للمناقشة والتصويت رغم اكتمال النقاش داخل اللجان

ولم تتبنّـه الحكومات المتتالية من 2019 إلى 2020، ولم تمنحه الأولوية للمرور إلى الجلسـة العامة للتصويت، ليستقر في أدراج اللجان بعد تجميد البرلمان في 25 جويلية 2021

واسـتغلت النقابـة الوطنية للصحفييـن التونسـيين والنقابة التونسـية لأصحاب المؤسسـات الإعلامية مناسـبة يوم حرية الصحافة كل 3 ماي ومن خلال بياناتها طالبت بتفعيل المشروع وإنشـاء هيئة أو وكالة وطنية لتوزيع الإشـهار العمومي بشـكل عادل، نورد منها هذا المقتطف

-غيـاب قانـون ينظـم الاشـهار العمومي يكـرس الفوضى ويبقى وسائل الإعلام رهينة للسلطة التنفيذية ورجال الأعمال -

وأصدرت النقابة التونسـية لأصحاب المؤسسـات مطالب مشـابهة وبعد الالتقاء مع رئاسـة الحكومة خلال سنتي 2022 و2023 طالبت بإرسـاء نظام عادل لتوزيع الإشـهار العمومي وإيقـاف التمييـز بيـن المؤسسـات القريبـة مـن السـلطة وبين المستقلة والمعارضة وضمان الشفافية في العقود

كمـا عملـت منظمـات المجتمـع المدنـي علـى تحريـك الملـف، للضغـط مـن أجـل إحيـاء المشـروع حيـث طالبت بالشـفافية ووضعه تحـت رقابـة برلمانية وقضائيـة، واعتبرت

تنظيم الإشـهار العمومي هو – معركة حرية الصحافة ومحاربة الفساد في التمويل الإعلامي –

ودعـت الهيئـة العليـا للاتصـال السـمعي البصـري إلـى إعـادة النظر في المشـروع ضمن مقاربة شـاملة لتنظيم القطاع الإعلامي، في ظل تفشي ما يمكن تسميته – الإشهار السياسي المقنّع –

ورغـم كل هـذه الدعـوات والمطالب، بقي ملف الإشـهار العمومـي يـراوح مكانـه دون أي تقـدم. واسـتمرت وزارة الاتصال – دائرة الإعلام في رئاسـة الحكومة–بالتصرف التام عبر قـرارات إداريـة غير خاضعـة لقانون خـاص، ومن خلال آليّـة الأوامر الحكومية المؤقتة ليتواصـل الجري وراء تحقيق مشـروع قانوني حساس يضمن للإعلام حصانة ضمن منظومة قانونية تحدد الحقوق والواجبات بشـفافية، بما يتيح لوسـائل الإعـلام الاسـتمرار فـي نهجهـا الـذي تختـاره دون تخـل أو ضغط عن طريق الإشـهار العمومي بالمنحة السخية للموالين والحرمان والمنع لمن اختار الاستقلالية أو المعارضة

في تلك اللحظة سـنكون حقـا قد اقتربنا مـن تحقيق هدف رئيسي قامت من أجله ثورة الشباب التونسي فينال من يستحق حقـه كامـلا لا منـة لأحد عليـه ونكون قـد قطعنا مـع الأنظمة السـابقة التي جعلت من الإشهار العمومي أداة سيطرة وتحكم ودكتاتوريـة مقيتـة على قطاع الصحافة والإعـلام يخنق حرية

التعبيـر ويتلاعب بمصير المؤسسـات وديمومتهـا إذا خالفت التعليمات

الفصل السابع

شهادات وخبرات

1. لقاء خاص مع عضو الألتراس السابق العربي ألتراس

حرصنا على لقاء العربي ألتراس، العضو السابق في مجموعات الألتراس، والذي حدثنا عن بداياته منذ كان طالبا جامعيا.

عاش العربي الحراك الطلابي في الجامعة التونسية في الألفينات واطلع على الأفكار السياسية المختلفة، وفي الوقت نفسه كان مهتمًا بكرة القدم.

انتماؤه للألتراس جاء من حب جنوني للرياضة ومشاركة رفاق الحي في كل تجمعات مناصري النادي

يقول: كنا نتنقل في كل مكان لحضور الاجتماعات والنقاشات حول النادي، دون دعوات أو بروتوكولات

الهوية والانتماء للمجموعة

يقول العربي أن الألتراس تهتم بظهورها الموحد وترتدي أزياء خاصة تظهر هويتها، كما أن لكل مجموعة أزياءها المميزة.

ويصف انتماءه للألتراس بأنه أشبه بمن يتبنى قضية تتطلب التضحية والمقاومة والنضال، ويجب التصدي بكلمة «لا» في مواجهة أخطاء مسؤولي النادي والسلطة، والاحتجاج المتواصل وتحمل الغاز المسيل للدموع وعصا البوليس والإيقاف إذا تطلب الأمر فلا مشكلة

الانتماء والولاء

الولاء للنادي الذي ينتمي إليه الألتراس والكره للفريق المنافس يمثلان عقيدة أساسية، فيجب أن يكون حب الفريق مترافقا مع إعلان الكره للفريق المنافس لضمان صحة العقيدة

التوجهات العالمية ونشأة الألتراس

حدثنا العربي عن الألتراس في تونس فأخبرَنا بأنهم يتأثرون بما يحدث في مدرجات العالم، خاصة في إيطاليا. وأن العقيدة الأساسية للألتراس دائمًا معارضة النظام، سواء كان فاسدًا أو صالحًا.

ويؤكد محدثنا أن الفئة العمرية بين 18 و22 سنة، الموجود حاليا أكثر تعصبا من الجيل السابق

التنظيم والسرية داخل الألتراس

يخبرنا العربي أن الألتراس منظمون للغاية ويتمتعون بانضباط كبير. طابع التكتّم مرتبط برفض أي عضو الحصول

على شهرة على حساب المجموعة، مع احترام التسلسل القيادي

وفي طريقة جمع الأموال لإنجاز الدخلات تخصص خزنة سرية مع إشراف كامل للقيادة تشارك فيها كل المجموعات ولا يتدخل أي أحد

المعارك

يعترف أن الاشتباك مع رجال الأمن أمر عادي ومتواصل وأنه غالبًا ما يكون عنفا مفرطًا وغير مبرر.

٪ 99 من الجمهور يذهب الى الملعب لمشاهدة المباراة وهناك نسبة لا تتعدى ٪1 لا تهتم بالمباراة وتذهب للشغب والعنف وهي التي تتسبب في المشاكل بين المجموعات والاشتباك مع رجال الأمن الذي لا يميز بين الجمهور العادي ومتسببي الشغب من المندسين بينهم

ويؤكد العربي أن عداء الألتراس لرجال الأمن مرتبط بالتهميش الاجتماعي الذي يعيشونه في الأحياء الشعبية والمجتمع عموما

ويرفض العربي التحجج بذلك لمنع جمهور الفريقين من حضور المباريات، معتبرا أن المنع نوع من التعسف ويفاقم الأزمات المالية للأندية ولا يحل أي مشكل

وتحدث بأسف شديد على تردي البنية التحتية الرياضية وحمّل المسؤولية للدولة وهي مطالبة بمراقبة المشاريع العمومية والضّرب بقوة على أيادي الفاسدين

البلطجية والعنف في المدرجات

وبخصوص كواليس المدرجات تحدث العربي عن مجموعات من البلطجية تستعمل العنف وتنفذ بطريقة منظمة عمليات « براكاج » وسلب المقتنيات والاعتداء بالعنف على الجمهور متخفين في غمرة هيجان المدرجات وفورة التشجيع أو الاحتجاج فتتم عمليات الاعتداء والعنف الشديد والسلب والنهب وحدثنا العربي عن بعض أفراد مجموعات الألتراس التي تتعاطي المخدرات وحبوب هلوسة، وبعضهم يروج ويتاجر في الممنوعات داخل المدرجات

صراعات السيطرة على الكورفا

وحدثنا عن نوع جديد من العنف الذي أصبحنا نشاهده في السنوات الأخيرة في مواجهات بين مجموعات الألتراس وصراعات فرض السيطرة والقيادة

اختراق الألتراس من قبل الإدارة

وكشف العربي على محاولات بعض إدارات الأندية الاختراق والتأثير على مجموعات الألتراس من خلال زرع عناصر داخلها لتغيير الآراء والمواقف والتحركات ولكنّهم في أغلب الأحيان لا ينجحون

2. لقاء مع توفيق لعبيدي : التلفزة الوطنية تضع البطولة بين يدي الجمهور من جديد

لـم نجد أفضـل من الأسـتاذ توفيق لعبيـدي رئيس مصلحة الرياضـة لسـنوات طويلة وإعلامي وصحفـي رياضي ليحدثنا عـن انتهـاء الخـلاف الذي طـال أكثر مـن الازم بيـن الجامعة والمؤسسـة الوطنية بإبرام عقد حقوق البث التلفزي لمباريات البطولة التونسية لكرة القدم يوم 7 نوفمبر 2025 حيث كتب:

«بعد سلسلة من الاجتماعات بين التلفزة التونسيّة والجامعة التونسيّة لكرة القدم، تمّ إبرام العقد بين الطرفين، الذي بموجبه اقتنت التلفزة الوطنيّة حقوق بثّ كلّ المباريات الثمانية من كلّ جولة من البطولة الوطنيّة للرابطة المحترفة، خمس منها بصفة مباشـرة وثلاث مسـجّلة بصفة فوريّة. وفي إطار كأس تونس، اشـترت ما لا يقلّ عن 22 مقابلة، بما فيها مباراتا الدور نصف النهائـي والنهائـي، إلى جانـب المباريـات الوديّـة للمنتخب، خاصّة تلك التي تُجرى في تونس

وإذا ألقينا نظرة إلى الوراء، فإنّ تاريخ أوّل اتفاقيّة أُبرمت بين التلفـزة والجامعة يعود إلى بداية التسـعينات، وكان مضمونها يقوم على مراعاة مصلحة الطرفين على حدّ السـواء، بحيث أنّ أيّ طرف يتولّى بيع حقوق البث التلفزيوني لجهة معيّنة يتقاسم مع الطرف الثاني الأرباح مناصفة بنسبة 50٪.

ومـع مرور الأعوام، تغيّر مضمون الاتفاقيّة وأصبح كليًا في اتجاه واحد لفائدة الجامعة على حسـاب التلفزة، التي فرضت عليهـا المنافسـة من قبـل هيئـة تلفزيونية خليجيّـة، «الكأس»، التي تتمتّع بإمكانيات ماديّة ولوجسـتيّة ضخمة، حيث تتقاسم مـع تلفزتنا الوطنيّـة البثّ لقطب مقابـلات الجولة، ممّا يجعل نسبة المشاهدة تميل لفائدة القناة الخليجيّة بحكم تميّزها على مسـتوى نوعيّة البث، وديكور الأسـتوديو، وقيمـة المحلّلين، ومعـدّات التحليـل والإحصائيـات، والغرافيـك، والثلاثيـة الأبعاد، والمافيولا

كمـا ارتفـع المبلـغ بصفـة مشـطَة مقابـل مسـتوى متـدنٍّ للمقابـلات فـي معظمها، فضـلاً عـن النوعيّة السـيّئة لأرضيّة الملاعب، التي فـي أغلبها تفتقر إلى منصات التصوير ومواقع آمنة للتعليق، بعيدة عن الجماهير، والتي في النهاية لا تستجيب للمعايير الدوليّة على مختلف الأصعدة

لقـد وقـع إمضاء العقد بعـد أن تمّ تغليب صـوت الحكمة، واسـترجعت التلفـزة جانبا كبيرًا من حقوقها المشـروعة، التي كانت مهضومة، بفضل إدارتهـا الحاليّة وفطنة القائمين عليها، ودفاعهـم المسـتميت عـن مصلحـة المرفـق العمومـي، كمـا وجدوا في المشـرفين على حظـوظ المكتب الجامعي الحالي آذانـاً صاغيـة وتجاوباً لخدمـة المصلحة العامّـة وعدم حرمان

الجمهـور التونسـي من متابعـة مقابـلات فرقهم علـى قناتهم الوطنيّة».

3. لقاء خاص مع الإعلامي والمعلق الرياضي رمزي القلعي : الإعلام الرياضي بين المهنية والفوضى

يصـف رمـزي القلعـي، الصحفـي والمعلـق الرياضـي بالإذاعـة الوطنيـة، واقع الإعـلام الرياضي في تونـس بأنه غير سـليم، ويعود السـبب إلى انحراف بعض المنابر عن رسـالتها الأساسـية، وتحولها مـن التحليل والنقاش الجـاد إلى البحث عن نسب المشاهدة.

يقـول القلعـي: «الإعـلام أصبـح صحافـة صفراء، يسـيطر عليها التمثيل والمسـتوى المتدني، فظهرت شخصيات تعرف بـ «الكرونيكورات» تعمّق التهريج على حساب المهنية»

ويضيـف القلعـي أن الضغط علـى الصحفييـن والمعلقين تفاقـم بسـبب وسـائل التواصـل الاجتماعـي، حيـث تُقتطـع الفيديوهات وتُنشـر بشكل ساخر للتشـهير، ما يدفع المعلقين للتخلي عن عفويتهم.

وصراعـات المذيعيـن والمنابر تزيد الوضع سـوءاً، فبعض المذيعين يهاجمون زملاءهم لجذب الجمهور أو إثارة «البوز» ويشوّه المشهد الإعلامي الرياضي

يشـير القلعـي إلى تراجـع أخلاقيـات المهنة، مشـدداً على أن هنـاك خلطـاً بيـن الصحفييـن المهنييـن وغيـر المهنييـن،

فالمتخرجون من معاهد الصحافة غالباً ما يتمتعون بالاحترافية، بينما الدخلاء على القطاع يبحثون عن المشاهدات بأي ثمن، مع ذلك، يعترف بوجود صحفيين من غير هذا الصنف يمتلكون مستوى عاليا من المهنية

ويرى أن الصحفي الرياضي ضحية وجان في آن واحد

ضحية إذا لم يحمه هيكله أو إذا كان في حاجة مادية، وجان إذا أساء لأخلاقيات المهنة وساهم في تردي الوضع العام.

ويقدر القلعي أن الصحفي يتحمل نحو ٪70 من المسؤولية وهو بنسبة ٪30 ضحية

أما الهياكل المهنية والتنظيمية، مثل النقابة الوطنية للصحفيين وجمعية الصحفيين الرياضيين، فهي موجودة لكنها غير فعالة، حيث يعاني القطاع من تشتت وانقسامات، ولا تتحقق حماية كافية للصحفيين أمام الهيئات الرياضية أو الرسمية

في المباريات الكبرى، يتم تنظيم منصة الصحفيين بالتنسيق مع الأندية، لضبط العدد وضمان تغطية فعّالة، لكن يلاحظ القلعي خروقات مستمرة، مثل اقتحام عناصر غير صحفية، أو حضور صحفيين للمشاهدة فقط.

ويشير إلى أن منح الاعتمادات تخضع أحياناً للمحاباة والانتقائية، حيث يتم تفضيل بعض المؤسسات أو الصحفيين وحرمان آخرين بسبب موقفهم النقدي

فـي النهايـة، يؤكد رمـزي القلعي أن الإعـلام الرياضي قوة إيجابيـة إذا التزم بالمهنية، لكن يمكن أن يصبح أداة فوضى إذا غـاب الاحتراف والحياد، مشـدداً علـى أن الصحفي الحقيقي هو من يوازن بين تقديم المعلومة الدقيقة من جهة وسـعيه إلى التأثير في الجمهور من جهة ثانية، دون الانجرار وراء التعصب أو الضغط الخارجي

4. لقاء خاص مع سالم حمزة صحفي بجريدة المجهر :مسؤولية الصحافة والإعلام الرياضي في تردي وضع القطاع الرياضي

يقول سـالم حمزة أنه يحمّل الصحف والإعلام المسؤولية الرئيسـية للإعلام في تردي الوضع العام للقطاع الذي يفترض فيـه النزاهـة والموضوعيـة والحيـاد، وحتـى وإن كان خـارج ممارسة المهنة له ميول لفريق معين، ففي أغلب الأحيان يكون ذاك النادي سبباً في اختيار هواية الصغر مهنة فيما بعد

يُرجع الصحفي أسـباب الفوضى القائمـة والعنف المتكرر فـي الملاعـب بين جمهـور الأندية والـذي يبلغ ذروتـه عندما يصبـح الصراع والعنف المتبادل بين مجموعات تتكون داخل أحباء نفس النادي إلى انحراف البرامج الرياضية عن رسـالتها الإعلامي

كما يُحمل المسؤولية إلى البرامج الرياضية التي حادت عن رسالتها الإعلامية الحقيقية في التثقيف بتوضيح ما يلتبس في قوانين التحكيم وشرح وتحليل الخطط الفنية وأساليبها

لتتحول البرامج الرياضية إلى نقاشات حادة ودفاع مستميت عن اللاعبين والجماهير حقاً وباطلاً، والبحث عن الإثارة والبوز حتى صار المحلل الفني يفكّر ويتفاعل مع الأحداث الرياضية بعقلية الفيراج، وفي هذا تهييج للمتفرج

انتقاء المعدين والمقدمين وتأثيرهم في المحتوى الرياضي

يُرجع السبب الأساسي إلى انتقاء المعدين والمقدمين للبرامج الرياضية للكرونيكورات الأكثر راديكالية وتعصبا. بعض الكرونيكورات يتحدثون باسم فرقهم فيستعملون ضمائر «نحن» و«أنتم»

يحضرون التصوير بأزياء فرقهم خلال البرامج التلفزية والإذاعية.

كما أن ضعف مستوى الكرونيكورات عامل واضح، عندما ينزل بعضهم تحت مستوى الأدب واللياقة واحترام المشاهدين والمستمعين.

ويعمل المعد والمقدم على اختيار المواضيع المستفزة ويدير النقاش كما المعركة بين الكرونيكورات محاولا تحريك أسباب اشتعال النقاش

الصراعات والمصالح الشخصية في الإعلام الرياضي

يتهافت المعدون على الرعاة والمستشارين ويحاولون إغراءهم على حساب أبجديات المهنة ومقتضياتها، فيفرضون كرونيكورات ويمنعون آخرين من الظهور.

وكشفت الصراعات المعلنة في عدد من البرامج الرياضية عن مصالح شخصية

وضع الحكام والصراعات داخل التحكيم

كشف الحكام بعضهم بخصوص انتمائهم وانحيازهم مع فريق ضد آخر، بعضهم أقارب يدافعون عن حقهم في الكعكة أو السلطة فيمنحون المكافآت لمن هم في شقهم ويعاقبون ويستبعدون من هم من شق آخر. وقد أعلن بعض الحكام عن انتمائهم صراحة لفرق وأندية بعينها وغيروا نتائج مباريات، ولا يتحرجون في فضح جرمهم. وبدورهم يطعنون في حكام آخرين يتهمونهم بقلة النزاهة والفساد

تأثير الإعلام في العنف والصراعات الجماهيرية

تُظهر البرامج العنف الواقع في الملاعب والصراع بين مجموعات الجماهير الواحدة، ويدعو علماء الاجتماع للبحث في الظاهرة.

وفي الأخير حمّل الصحفي سالم حمزة في جزء رئيسي الإعلام الرياضي مسؤولية الفوضى القائمة عموما.

5. الصحفي والإعلامي الرياضي شهاب الرويسي

رأي الزميل شـهاب الرويسـي في الموضوع كان من خلال قراءة شـاملة لواقع الرياضة التونسـية وتحدياتها حيث قال في سياق متكامل تحت عنوان:

الرياضة في تونس حيرت المتابعين وشكلت لغزا يستعصي تفكيك شفرته على أبرز العارفين

«فاللعبة الشـعبية تسـجل حضورهـا للمرة الثالثـة تواليا في الموعد الأهم رغم أن تونس لا تعد سـوى ملعبا واحدا مؤهلا – بصفة استثنائية – لاحتضان المباريات الدولية

وبمجموع 7 مشـاركات فـي كأس العالم لكرة القدم تعادل تونـس أرقام نيجيريـا والمغـرب وتتقدم علـى الجزائر ومصر وغانـا والكوت ديفـوار وهي دول تفوقها عشـرات الأضعاف من ناحية الامكانيات المالية والبنية التحتية والقيمة التسويقية

والاسـتثناء لا يأتـي مـن كرة القدم فحسـب ليصبـح قاعدة غريبة في رياضات فردية ليست أفضل حال في بلادنا

فتونـس لا تغيـب عـن البوديـوم الأولمبـي فـي 5 دورات متتاليـة لترفـع رصيدها إلـى 18 ميدالية من مختلـف المعادن بفضـل أبطـال تحـدوا الصعوبات فـي 6 اختصاصـات تعاني الأمريـن في غياب الحـد الأدنى من الإمكانيـات وهي ألعاب القـوى والملاكمة والسـباحة والمبارزة بالسـيف والتايكوندو والمصارعة

فالسباحة على سبيل المثال لا الحصر تفتقر إلى مسابح أولمبية ونصيب الأندية لا يتعدى رواقا واحدا لجميع مجازيها ومع ذلك أصبحت مسافة 800 متر سباحة حرة اختصاصا تونسيا بفضل أسامة الملولي ومحمد أيوب الحفناوي وأحمد الجوادي وفي رصيدهم ثلاثة من أصل أربعة بالنسّبة إلى أفضل توقيت في تاريخ المسافة

والأكيد أن وجود أمهر سباحينا خارج البلاد تحت إشراف مدربين مصنفين دوليا ساعدهم على تحقيق إنجازاتهم العالمية لكن البداية كانت محلية في مسابح المرسى (الملولي والجوادي) والزهراء (الحفناوي)

ولعل غياب التنافس وطنيا هو الذي يمثل عائقا أمام تطور مستوى أبطالنا لذلك سعت بعض اتحادات الرياضات الجماعية وخاصة كرة القدم إلى الاستفادة من إضافة لاعبينا المحترفين خارج بلادنا بالإضافة إلى التعويل على أبناء الجيل الثاني والثالث لعمالنا بالخارج الذين يتميزون بتلقيهم لتكوين يرتقي إلى أعلى المستويات لتكوين من المستوى الرفيع ضمن الأندية الأوروبية»

وفي المقابل تفشت ظاهرة «الحرقان» لدى رياضيّي النخبة خاصة في الألعاب الفردية من أبناء الأحياء الشعبية التي ولم تستثنِ هذه الظاهرة العنصر النسائي بحثا عن تحسين الظروف الاجتَماعية

وفي غياب أبحاث جدية لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة تقدر بعض الدراسات أن عدد الطامحين في تغيير الجنسية الرياضية يفـوق المائة منذ انتفاضة سـنة 2011 وبذلـك تحرم تونس – كما في مختلف المجالات – من خدمات أفضل أبنائها

وفي غياب أبحاث جدية لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة تقدر بعض الدراسات أن عدد الطامحين في تغيير الجنسية الرياضية يفـوق المائة منذ انتفاضة سـنة 2011 وبذلـك تحرم تونس – كما في مختلف المجالات – من خدمات أفضل أبنائها

ومما زاد الطين بلة الوضع المتردي للإعلام الرياضي الذي حال دون أن تلعب «السلطة الرابعة» دورها في الرقابة لتشخيص الوضع وكشف النقائص والمساعدة على حلحلة المشاكل المعلقة منذ عقود وأبرزها ندرة الموارد المخصصة لرياضة النخبة بما يعكس عدم اعتبار الرياضة من ضمن أولويات المرحلتين الحالية والقادمة

وفي غياب هيكل تعديلي للمشهد السمعي البصري أصبحت البرامج الرياضية مساحات بث للإيجار تخدم مصالح المستشهرين مع صعود صنف جديد من المحللين هم عبارة عن أنصار الأندية التي ينتمون إليها بما ساهم في تفشي ظواهر سلبية على غرار التعصب والتشنّج وعدم مراعاة مصالح الرياضة التونسية».

6. لقاء خاص مع المدرب فتحي العبيدي : المباراة عرض مسرحي.. والإعلام قد يشعل الفوضى أو يطفئها

في حديث مختلف عن كرة القدم، يذهب المدرب فتحي العبيدي إلى أبعد من الأهداف والنتائج، ليشبّه المباراة بالعرض المسرحي: «الناس يأتون إلى الملعب بحثاً عن الفرجة، عن لحظة يعيشونها بكل جوارحهم». لكن خلف هذه المتعة يكمن توترٌ وانفعال، جمهورٌ يتابع فريقه بأدرينالين مرتفع، يبرر العنف في كل مرة، ويلقي باللوم على الآخر

بالنسبة للمدرب فتحي العبيدي، دور المدرب محوري. فهو ليس مجرد رجل تكتيك، بل مسؤول عن تقديم عرض يقنع الأنصار حتى لو خسر الفريق. «الجمهور يمكن أن يغادر راضياً وهو منهزم إذا لمس أداءً جيداً وروحاً قتالية لكن حين يغيب الأداء، يتحول الغضب إلى عنف »

دكتاتورية النتيجة

ويرى فتحي العبيدي أن المدرب في تونس، أصبح أسير حسابات ضيقة، يفضّل التعادل الممل على مغامرة قد تجلب الخسارة، فيقتل المتعة ويزيد التوتر

ويعتبر أن المقارنة مع أوروبا لا تجوز: هناك، الجمهور ينسى النتيجة أمام جودة اللعب، أما في تونس، فالنتيجة وحدها هي الحكم. والأسوأ أنّ هذه العقلية تتسرب منذ الصغر: «اللاعب

الناشـئ يتربى على الفوز بأي ثمن، يتشـنج إذا لم ينتصر، وقد يخرج عن طوره. المدرب نفسه قد يطلق شرارة العنف بدل أن يربي على الروح الرياضية

ولا يتوقـف الأمـر عنـد المدربين، فالإعـلام الرياضي، هو «سلاح ذو حدين» فبعض البرامج تلتزم بالموضوعية وتساهم في التوعية، لكن أخرى تبحث فقط عن الإثارة، فترفع الصوت وتغذي التعصب من أجل نسب المشاهدة. وهنا يكمن الخطر: « فالإعلام قد يرفع وعي الجمهور أو يشعل الفوضى»

والمـدرب يعيـش بيـن مطرقـة النتيجـة وسـندان الإعلام، الجمهور يضغط، والصحافة تهاجم، حتى لو كان هناك مشروع يحتاج بعض الصبر. «الإعلامي الحقيقي هو من يمنح المدرب فرصة العمل ويقيّم مشروعه، لا فقط النتائج الفورية»

وقـد تحولـت البرامـج الرياضية، في كثير مـن الأحيان إلى سـاحة ملاسـنات، محللون يرتدون أزياء فرقهم كأنهم أنصار لا محللون.

وحـذر فتحي العبيدي من خطورة توجيه البرامج من خارج القنـوات عبر رجال أعمال أو مستشـارين يفرضون المواضيع والضيوف.

ونبّـه مـن «السمسـرة والوسـاطات» التـي يُسـمع عنها بين إعلاميين ووكلاء ومسؤولين

ولا ينفي العبيدي الجانب الإيجابي: في الإعلام الذي يفتح المجال لعـودة المدربيـن، ويمنحهم صوتاً ومكانة، ويسـاعد الجمهـور على فهم الجوانب الفنيـة، أما المحامون والوكلاء، فوجودهم مرحّب به إذا التزموا بالحياد

ويختصـر المـدرب فتحـي العبيـدي رؤيتـه بعبـارة لافتـة: «المباراة عرض مسـرحي، والإعلام جزء من الجمهور. إما أن يجعل العرض ممتعاً، أو يحوله إلى فوضى»

7. لقاء خاص مع كريم المباركي : مندوب الرياضة المدنية سابقا

اللقـاء مع كريـم المباركي مندوب الرياضة المدنية السـابق كشف الكثير من التفاصيل التي تتعلق بهذه الوظيفة، وعلاقتها بالواقـع والتطلعات لإضفاء أكثـر نجاعة لقطاع الرياضة يقول كريـم لمباركـي إن وظيفـة منـدوب الرياضـة المدنيـة ظهرت فـي زمن بـن علي كفكرة للمقارنـة بين الوزارات فـي المراقبة المتبادلة، لكنها لم تُنظم بشكل واضح.

كانت في البداية مرتبطة بسلك التفقد، لكن لم تستمر طويلًا بسبب رفضه التكفل بهذه المهام، وكل المقترحات لتفعيل هذا الـدور لم تنجح وبقيت على الهامـش و كذلك القانون بدوره بقي حبـرًا على ورق، فلا يُؤخذ بملاحظـات مندوب الرياضة المدنية فلا سـلطة فعلية ولا صلاحيات هو فقط دور شكلي لا فائدة منه ولا أهمية له حتى وإن تظاهر أحد المسـؤولين بشرح

هذه الخطة فهو لا يؤمن في قرارة نفسه بما يقول ويعرف أنه لا ينظر حتى في الملاحظات المسجلة في تقارير زياراته الميدانية و حتى البطاقة المهنية التي تعرّف به في المنشآت التي يزورها للمراقبة والتفقد لا تستخرج له و تطبع الأوراق للتكليف لكل مهمـة على حدة لحكمـة لا تفهمهـا إلاّ إدارة بيروقراطية مملة لا تهمهـا النجاعة بقدر ما يهمها الورق و الشـكليات ما ينشـر حالة الإحباط في الإدارة التونسية التي تعطل و لا تساعد على تطوير العمل

ويضيف المباركي أن المسـؤولين عن القاعات والملاعب غيـر ملزمين بأي شـيء من قبل المندوبيات الجهوية للشـباب والرياضـة فإداريـا لا يتبعهـا ولا يتخاطب إلا مع مسـؤوله في البلدية لذلك تدهورت حالة المنشآت الرياضية عندما سُحبت من إشراف أساتذة التربية بدنية

وكحـل لذلك يقترح المباركي أن يصدر قانون يفعل وظيفة مندوب الرياضة المدنية ويمنحه الصلاحيات والآليات اللازمة لتفعيل المتابعة والمراقبة والاهتمام أكثر بالمنشـآت الرياضية وتحسين حالها

الفصل الثامن

الميثاق الأخلاقي لمهنة الإعلام

1. الميثاق الأخلاقي لمهنة الإعلام

لفهم أخلاقيات الإعلام علينا أن نمر من فهم مصطلح «الأخلاق» أولا

فالأخلاق لغة اشتقاق من لفظ خلق وجمعها أخلاق وورد اللفظ في القران الكريم « وإنك على خلق عظيم» القلم 4 وقوله تعالى «إن هذا خلق الأولين» الشعراء 147

وجاء في لسان العرب لابن منظور « الخلق بمعنى السجية والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية وأوصافها ومعانيها المختصة.. ولهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة»

أما كلمة «أخلاق» فترجمتها إلى اللاتينية ETHICA وETHOS وETHIQUE هي المبادئ والقواعد العلمية التي تحكم السلوك المهني واصطلاحا « الأخلاق » دراسة وتقييم للسلوك الإنساني على ضوء القواعد الأخلاقية التي تضع ضوابط للسلوك كالتزام يؤطر العمل

ويعرفها جون فريمان بأنها « مجموعة من المبادئ الأخلاقية وهي قانون غير مكتوب في كثير من الأحيان يعمل على توجيه سلوك الفرد »

وينظـر الى أخلاقيـات الإعلام على أنهـا تلك الأخلاقيات المتعلقـة بمهنـة الإعلام وهـي مجموعة القواعـد والواجبات المسيرة لمهنة الصحافة أو هي مختلف المبادئ التي يجب أن يلتزم بها الصحفي أثناء أدائه لمهامه

فالأخلاقيـات يصوغهـا الصحافيـون أنفسـهم فـي إطـار النقابات المهنية (التنظيم الذاتي) أو تضعها مؤسسات الميديا

وقد حُدّدت أخلاق الإعلام بقواعد السلوك المهني لتوضح للصحفي ما له وما عليه لضمان حرية الإعلام والصحافة وحرية الوصـول إلى المعلومـة في كنـف الموضوعية والاسـتقلالية والنزاهة بعيدا على الإثارة والتشهير والتضليل

وكلمـة DEONTHOLOGIE بالفرنسـية تعنـي أخلاقيـات المهنة أو مدونة السلوك المهني

وهي مشتقة من اليونانية DEONبمعنى الواجب

وLOGIEتعني العلم والدراسة

ومدونـة السـلوك الصحفـي هـي LA DEONTHOLOGIE JOURNALISTIQUE

وهـي مجموعـة القواعـد والمبـادئ التـي تحكـم سـلوك الصحفيين في ممارسة مهنتهم

تطور مفهوم أخلاقيات المهنة

ظهـرت الطباعـة في أوروبـا مطلع القـرن 15 عندما اخترع الألمانـي يوهانس غوتنبورغ آلة الطباعـة بالحروف المتحركة لتزدهر طباعة الكتب وأصبحت متاحة بكثرة فتوسـعت حركة القراءة والكتابة عند طبقة النبلاء ورجال الدين والتجار

وفي القرن 16 بدأت الصحف والمجلات تنتشر شيئا فشيئا في ألمانيا وفرنسـا وبريطانيا وهولندا فانتشرت الأخبار بسرعة أكبر وعلى نطاق أوسع من ذي قبل

وازدهرت الطباعة والنشـر في القـرن 18 لكن رافقت ذلك مظاهر من الفوضى عكرت الأجواء وصفو بعض الناس حيث استعملت بعض الصحف في بريطانيا مثل

THE TATLER 1709

THE SPECTATOR 1711

THE CRAFTMAN 1726

من أجل بثّ موجات من التشـهير والافتـراء والكذب ضد بعض الشـخصيات والوزراء والنبلاء ولـم ينج الملك جورج الأول نفسه من ذلك

فرد البرلمان بالقانون الشهير LIBEL ACT

الـذي جعـل الصحفييـن يفكرون فـي إنشـاء مجموعة من القواعـد تتصـل بشـرف المهنـة وتحميهـم مـن الملاحقـات وتمنحهم المصداقية

وقد تكـون محاكمة جون بيتر لنغر عـام 1735 هي العامل المحفز لإنجاز الميثاق

وقد أصبحت هذه القضية رمزية لحرية الصحافة المسؤولة وبرزت على السـطح فكرة الصحفي الشـريف الذي لا يعاقب إذا نشر الحقيقة

وكتب منظرو تلك الفترة وعلى رأسـهم فولتير وديدرو عن الصحافـة الحـرة والمسـؤولية ومفهـوم – شـرف الصحافة – كعامل لا يقل أهمية عن الحرية

وقال فولتر la liberte de dire ne justifie pas le mensonge – حرية القول لا تبرر الكذب – وقد أصبح هذا المبدأ من الأسس الأخلاقية الأولى التي بني عليها ميثاق شرف الصحافة لاحقا

وحتـى تتبلور كفكرة مؤسسـة لمهنة الصحفـي والإعلامي كان لا بد لها أن تمر من عدة محطات وصولا على الآن وهنا

بيـن 1720 و1790 ظهرت أعراف شـرف غير مكتوبة بين الصحفيين الأوروبيين خصوصا في فرنسا وبريطانيا لمكافحة التشهير والشائعات

وفـي 1842 تأسسـت SYNDICAT DE LA PRESSE FRANCAISE

و بـدأت و بإلحـاح فكـرة تحديـد قواعـد السـلوك المهني التي شـهدت ذروتها سـنوات 1880/ 1890 عندما انتشـرت أول مدونة شـرف مكتوبة في الصحف الأوروبية مثل الالتزام

بالصـدق واحتـرام الخصوصيـة وتجنـب الإثـارة المضلّلـة SENSATIONALISM

وفـي 1923 وضعـت أول مدونـة شـرف فـي أمريـكا NATIONAL PRESS CLUB

تضمنـت قواعـد محـددة للتحقـق مـن المعلومـة والنزاهة المهنية

وفـي 1945 / 1950 إثر الحرب العالميـة الثانية تطورت لجان أخلاقيات مستقلة داخل الصحف والإذاعات في فرنسا وبريطانيا وألمانيا لمراقبة الالتزام بالمعايير المهنية

ميثاق أخلاقيات المهنة الصحفية

إبّـان الحرب العالمية الأولى سـعت الـدول الأوروبية إلى وضع مشـروع ميثاق لأخلاقيات المهنـة الصحفية نظرا للدور الذي لعبته وسائل الإعلام في تلك الفترة

وعـام 1923 ظهر بيان رؤسـاء تحرير الصحـف الأمريكية وتضمن موادا لها علاقة بميثاق قواعد الأخلاق الصحفية

ويعـد المؤتمـر السـابع للاتحـاد العالمـي للصحفييـن في مدينـة بوردو الفرنسـية عام 1939 المنعرج الفـارق في تاريخ الصحافـة الحديثـة حيـث كان المحاولة الفعليـة الأولى دوليا قبـل الحرب الثانيـة فوضع المبـادئ الأولى لما سـيعرف بعد الحرب –بالأخلاقيات المهنيـة –وناقش المؤتمر العلاقة بين

الصحافة والمسؤولية الاجتماعية في ظل الصراعات السياسية المنتشرة مما جعل استقلالية المهنة أمرا حتميا

وتـم التأكيد على الالتزام بالحقيقة وعدم تزييفها والتلاعب بهـا وعدم نشـر الكراهية والتحريـض كما تـم التنصيص على الدفاع عن حرية التعبير حقا لا امتيازا

وتبناهـا مؤتمـر 1954 ليقـر رسـميا – الميثـاق الدولـي لأخلاقيات الصحفيين

CHARTE INTERNATIONALE D`ETHIQUE DES JOURNALISTES

ومن أهم ما جاء فيه

- الالتـزام بالحقيقـة واحتـرام حـق الجمهور فـي معرفة الوقائع
- التحقـق مـن المعلومـات وتجنـب نشـر الشـائعات أو الأخبار المضللة
- الامتنـاع عـن التشـهير والافتـراء والإسـاءة المتعمـدة للأشخاص
- عـدم اسـتغلال المهنـة لتحقيـق مصالـح شـخصية أو سياسية
- احترام الخصوصية الإنسانية وكرامة الأفراد
- عدم التمييز على أسـاس الجنـس أو الدين أو العرق أو الانتماء

- الدفاع عن حرية الصحافة كركيزة للديمقراطية وحقوق الإنسان
- التضامن المهني بين الصحفيين ضد كل أشكال الضغط والترهيب

فـي مؤتمر 1983 جاءت أهم الإضافات في إطار الرد على استغلال الإعلام كسلاح سياسي ودعائي، ودعت إلى

- استقلال الصحفي لا رقيب عليه إلا ضميره
- التشـديد علـى اسـتقلالية الصحفـي عـن الحكومـات والأحزاب والممولين
- التنبيـه إلـى مخاطـر الدعايـة والتلاعـب بالمعلومة في سياق الصراع الأيديولوجي بين الشرق والغرب
- إدراج مبـدأ احتـرام الحيـاة الخاصـة وقرينـة البـراءة للأفراد
- التأكيـد على أن الصحفي لا يخضع إلا لضميره المهني ولحق الجمهور في الحقيقة
- الدعـوة إلى تضامن دولـي بين الصحفيين ضـد الرقابة والاضطهاد
- ومواكبـة للثـورة الرقميـة وانتشـار الاخبـار المضللـة والضغـط الاقتصـادي علـى المهنـة أعلـن الكونغرس العالمـي للاتحـاد الدولـي للصحفييـن فـي تونس عام 2019 إدراج التعليمات التالية

- إدراج مبادئ تخص الإعلام الالكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي
- مسؤولية الصحفي عن دقة المحتوى الرقمي حتى فيما يتصل بالنشر على حسابه الخاص
- مكافحة الأخبار الزائفة FAKE NEWS كواجب مهني أخلاقي
- الدعوة إلى شفافية مصادر التمويل الإعلامي وحماية الصحفيين من المصالح التجارية
- مبدأ المساواة بين الجنسين في المؤسسات الإعلامية وفي التغطيات
- التأكيد على سلامة الصحفيين وحمايتهم من العنف أو الملاحقات
- تثبيت فكرة أن الصحافة مصلحة عامة لا سلعة تجارية ولا أداة دعائية

الميثاق الأخلاقي للصحفيين التونسيين

هو ميثاق أخلاقي للصحفيين التونسيين يوجه سلوك الإعلامي في أدائه المهني ويضبط آليات القيام بالواجب بالانتباه إلى مجموعة من النقاط منها:

- يلتزم الصحفي بالسعي إلى الحقيقة والعمل على إبلاغها إلى الرأي العام في إطار حقه في النفاذ إلى المعلومة

- يلتزم بالدفاع عن حرية الصحافة ولا يقبل المهام التي لا تتلاءم مع ضوابط المهنة وأخلاقياتها
- يمتنع عن إمضاء وإنتاج أعمال صحفية ذات مستوى أو طابع إشهاري دون التنصيص على ذلك كما يمتنع عن صناعة مضامين إشهارية في صيغة أخبار
- لا يقبل الصحفي هدايا أو امتيازات خاصة مقابل أداء المهمة الإعلامية
- يرفض الصحفي استعمال صفته أو مسؤوليته لخدمة أغراض شخصية
- ينسب الصحفي المقتطفات التي يستدل بها إلى أصحابها ويمتنع عن انتحال كتابات الآخرين
- يمتنع الصحفي عن ذكر أي عنوان أو صفة أو خبر وهمي
- يحترم الصحفي آراء زملائه ولا يلجا الى ثلبهم ويتعامل مع المختلفين معه في الرأي بروح من التسامح وينسحب ذلك على صفحات التواصل الاجتماعي.
- يمتنع الصحفي عن الممارسات التي من شأنها أن تتسبب في مشاكل مهنية لزملائه أو تكون سببا في حرمانه من ممارسة العمل الصحفي
- يلتزم الصحفي بالعمل من أجل تحقيق تضامن فعلي بين أصحاب المهنة وعليه ألّا يسعى إلى الاستيلاء على منصب زميله أو قبوله العمل في ظروف أسوأ وبأجر أدني

- يلتـزم الصحفـي بكل مـا نشر تحت إمضائـه وبموافقتـه التامة ويرفض تبني أو توقيع الأعمال الصحفية الجاهزة
- يحـترم الصحفـي الـسر المهنـي ويرفـض الإدلاء بمصـادر معلوماته
- يلتـزم الصحفي بالدفاع عن قيم المسـاواة بين الجنسـين وبعدم التمييز وبالدفاع عن الحريات الفردية والعامة

رغم كل ما يسود الفضاء الإعلامي من فوضى محيرة فمازال الأمل يحدو الكثير من شرفاء هذه المهنة للخروج بها من النفق رغم قوة التيار العكسـي الذي تقـوده مجموعة من الإعلاميين المعروفيـن مدعوميـن بكتيبـة من رجـال الأعمـال وبمصالح مرتبطـة بأفراد محددين يبقى الـردع والتعديل محدودا في ظل تعطل المؤسسات التعديلية والقوانين التي لا تخدم القطاع في شـيء بل زادت في تـردي الأحوال وعبث الفاسـدين وتحكم المنحرفين والمارقين والشواذ، وجعلت من التافهين والسذج وفاقدي الذوق والأدب مشاهير

2. قانون الفيفا 2023 للانضباط ومدونة الأخلاقيات

فـي 31 جانفي 2023 أصـدر الاتحاد الدولـي لكرة القدم على موقعه الرسمي النسخة الجديدة لكل من قانون الانضباط ومدونـة الأخلاقيات بهدف المزيد من حماية اللعبة من خلال وضع جملة من الأدوات

أهمها توفير مستوى أكبر من الحماية لضحايا التمييز والاعتداءات والتحرش والاستغلال الجنسي بجعلها لا تخضع للتقادم في المقاضاة واعتبار الضحايا بمثابة أطراف في الإجراءات ذات الصلة فيتمتعون بكافة الحقوق الإجرائية، ولا سيما إعلامهم بالقرارات ذات الصلة وبحقهم في استئنافها

وإلزام الاتحادات الوطنية والقارية بإعلام الفيفا بأي قرار بشأن اعتداءات جنسية أو تلاعب بنتائج المباريات.

وتمنح الفيفا حق دعم التحقيقات في التلاعب بنتائج المباريات وغيرها من المسائل ذات الصلة بالأخلاقيات من خلال تعيين خبير مستقل متخصص في النزاهة لإجراء مهام وواجبات التحقيق والتنسيق مع السلطات العامة المعنية بإنفاذ القانون واقتراح الإجراءات التأديبية المناسبة.

وتهدف الفيفا من التغييرات إلى ضمان توفير مستوى أفضل من العدالة المالية في حالة عدم امتثال أي طرف لقرار صادر عن الاتحاد أو عن محكمة التحكيم الرياضي، من خلال بنود توسيع نطاق قرار حظر الانتقالات على الأندية الصادر عن محكمة كرة القدم للفيفا عندما يتبين أن المدينين لم يلتزموا بالقرار

وإصدار أمر بحق طرف لدفع نسبة فائدة سنوية تبلغ 18٪ للديون غير المحصّلة في حالات معينة؛ إضافة لرفع قرار حظر

الانتقـالات المفروض علـى المدينيـن عندما يقدمـون للفيفا دليلا موثوقا على امتثالهم لالتزاماتهم المالية.

الفصل التاسع

قصص قصيرة

1. هل يصبح الطفل محمدو لاعب المنتخب التونسي

قصة من وحي خيال المؤلف

كنت أمرّ من نفس الطريق يوميًا وإذا توقّفت عند الإشارة الحمراء أراقب وجود امرأة شابة من جنوب الصحراء تتحرك بين السيارات تطلب الصدقة. على ظهرها طفل لا يتجاوز السنة من العمر، والثاني لا يتجاوز الخامسة، يبقى على حافة الطريق غير مبالٍ إلا بمحاولة ترويض قارورة بلاستيكية بقدميه

يضربها بعيدًا على الرصيف ويلتحق بها بسرعة يعيدها إلى مكان الانطلاق، كما لو كان يصنع هجمة تنتهي بتسديدة في المرمى الذي يحدده

ويعيد ذلك مرات كثيرة، مرت بضعة أشهر منذ انتبهت إلى اللاعب الصغير وعائلته

اقترب مرة عندما كان يلاحق قارورته فسألته

أنا – هل تتكلم العربية؟

هو – نعم أنا

أنا – ما اسمك؟

هو – محمدو

أنا – من أي بلد أتيت؟
هو – من تونس،
أنا تونسي ولدت بتونس
أنا – هل هذه أمك؟
هو – نعم
أنا – هل هذا أخوك؟
هو – نعم
أنا – أنت تحب كرة القدم؟
هو – نعم
؟ أنا – ما هو حلمك عند الكبر
هو – لاعب كرة قدم
أنا – مع أي فريق؟
هو – المنتخب التونسي
صدمني الطفل بالجواب غير المرتقب. تغيرت الإشارة من حمراء إلى خضراء وعلينا أن نتقدم شئنا أم أبينا

انتهت

حمام الشط في 30 جويلية 2025

2. عصمانو.. صمود المنعطف الأخير

قصة من وحي خيال المؤلف

كبر عصمانو الطفل الذي كان على ظهر أمه، الشابة القادمة من جنوب الصحراء. كانت تطلب الصدقة عند إشارة المرور. راقبته لسنوات طويلة كلما مررت بتلك الإشارة. رأيته عندما تخلص من ذاك اللحاف التي شل حركته طويلا وهو ينظر إلى أخيه محمدو يتعامل مع قارورة البلاستيك، يضربها بقدميه، إلى أن التحق به على الرصيف، يشاركه الشغف

لم أرَ محمدو بعد ذلك وأخبرني عصمانو أنه وجد طريقًا إلى أكاديمية أحد الأندية وربما تكون الموهبة قد أنقذته من الشارع

راقبت عصمانو يكبر ويبلغ سن المراهقة والتقيته مرات في مداخل الملاعب واكتشفت أننا أنصار نفس فريق كرة القدم فتوطدت صداقتنا

عصمانو دائمًا ما يكون مرفوقًا بمجموعة كبيرة من المراهقين يتحدثون كما يتحدث الشباب التونسي بنفس الطريقة والأسلوب والكلمات، دون أن تلاحظ لكنة غريبة أو تعطيل في النطق أو ما يشير إلى أنهم ليسوا من هذا المكان

الأعداد تضاعفت بسرعة خلال سنوات قليلة وأصبحت مجموعات هذه الفئة من الشباب تتنقل معًا ويزداد العدد وينقص حسب الاتجاه والهدف

عصمانو عانى كثيـرًا من الفقر والجوع والحاجة والحرمان وشـتّى أنـواع الاعتداءات مـع والدتـه ورفاقه الذيـن تعرضوا للظلم والاستغلال والقهر

لـم يُنْسِـه ذلـك كـرة القـدم فهـي التـي رافقته خـلال تلك السنوات، فلا دراسة ولا عناية من أي نوع، الفراغ وكرة القدم

اعتـاد مع رفاقـه ألا يتخلف على أي مبـاراة، ليس لمناصرة فريقـه والمتعـة باللعبـة فقط، بل لهـم مآرب أخـرى تتمثّل في اقتنـاص كل الفرص للحصول على المال، يطلبه من الجمهور بأسلوب يتناسب مع رواد الملاعب والأجواء والمزاج العامة

أو بيـع أعـلام الأنديـة وشـعاراتها، أو بيـع الممنوعـات وترويجها لأنصار معروفين في المدرج

وداخل المـدرج المكتـظ بالجمهور تنفذ عمليات السـطو والسرقة لمقتنيات أفراد من الجمهور يكونون ضحايا عمليات تنفذ ضمن مجموعات تتقاسـم المهـام والأدوار من محاصرة وكتم الصوت والتهديد بالسلاح الأبيض

فيتم البراكاج بسلاسـة وسـهولة وخلال مدة وجيزة لا ينتبه إلـى ذلك أحد، وحتـى إذا انتبه أحدهم يجب أن يتجاهل الأمر وإلا نال نصيبا من الاعتداء

البـركاج فـي الفيـراج ليـس اختصاصًـا ينفـرد بـه عصمانو ورفاقه فقط، بل هو ظاهرة منتشرة في مجموعات أخرى قادمة

مـن أحيـاء قريبة مـن العاصمـة والمدن الأخـرى تتوخى ذات الأسلوب في الاعتداء على جمهور الملاعب

وإذا تطورت الأمور للاشـتباك مع مجموعات الالتراس أو مـع رجال الأمن فعصمانو ورفاقه على أتم الجاهزية لذلك مع حافز قوي لإنتاج العنف وجعل المعركة شرسة كأشد ما تكون الشراسة

التقيـت عصمانو مرة يتسـكع في شـوارع العاصمـة، وبعد التحية سألته

«عصمانـو لماذا تفعل ما تفعل في المدرجات فأنت شـاب جيد لا يليق بك هذا السلوك »

أجابني مشيحًا بوجهه بعيدًا

«هل عندك حل آخر؟ هات حتى أرى، وسألتزم به

جف الريق في الحلق

شربت جرعة من قارورتي البلاستيكية،

وفي الأثناء واصل عصمانو طريقه لا يبالي بأحد، ولا يبالي به أحد

انتهت

حمام الشط

2025 / 7 /31

الخاتمة

بلغت الرياضة التونسية خلال السنوات الأخيرة حالة من الفوضى والانهيار لم تعرف لهما مثيلا

تفاقمت الأزمات بعد الثورة، واستفحل الفساد فغزا كل مفاصل الدولة، بما فيها الرياضة، وتحديداً كرة القدم، الرياضة الأكثر انتشاراً، مركز اهتمام قطاع كبير من الشعب التونسي الذي يجد فيها ملاذاً يستوعب مشاق حياته وفقر حاله وصعوبة عيشه وبطالته وفراغ يومه

الخطورة تتضاعف وتتفاقم في الأحياء الفقيرة التي تقطنها جيوش من الشباب يتسرّبون من المدارس إلى آفات تزيد من تعقيد الأوضاع كالمخدرات والكحول، وما تنتج من عنف وأضرار فادحة

تنتقل إلى مدرّجات الملاعب أثناء مباريات كرة القدم، فتغذي التعصّب والعدوانية والنقمة على الأوضاع التي يعيشها في الحي مع رفقة تشاركه التهميش، وتساند لحظة انفجار الغضب والكبت في معركة مع الجمهور الآخر، وإن لزم الأمر مع من يناصرون فريقه من غير مجموعته أو مع رجال الأمن بسبب ودون سبب ومع ما يعترض سبيله من ممتلكات خاصة وعامة، يهشّم ويدمّر ويخرّب كل شيء.

ينهار السلم المجتمعي وتتلاشى قيم التعايش بين مختلف مكوّنات الشعب التونسي، في غياب معالجة حكيمة تحلّ محل المقاربة الأمنية التي لا يمكن إلا أن تزيد من تعقيد الأوضاع إذا لم ترافقها مقاربات متعددة تأخذ الأمر بالجدية التي يستحقها، لخطورة ما آلت إليه الأمور ذات التكلفة الباهظة إذا لم تسارع أجهزة الدولة المتعددة إلى إيجاد الحلول للتخفيف من الاحتقان والأسباب الحقيقية للفوضى وهي مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى، والمجتمع المدني، والإعلام الرياضي الذي هو مطالب أكثر من أي وقت مضى بأن يعود إلى الرشد ويوقظ الضمير الحر فيؤدّي رسالته حسب ميثاق الشرف للمهنة ويفوّت الفرصة على من يتاجرون بمستقبل البلاد، من الانتهازيين والمستفيدين من الرداءة

هذا الكتاب وإن كان موجعا في مضمونه فهو محاولة للتجاوز والتقدم إلى غد أفضل يليق بالرياضة التونسية، وفي ذات الوقت هو حلقة تفكير تلتحق بما سبقها من حلقات لتتنزّل في سياق الواجب والإخلاص للضمير وشرف الانتماء لمهنة الإعلام الرياضي، ومن وثقوا بنا خلال مشوارنا وخطواتنا في بلاط صاحبة الجلالة، إليهم وإلى تاج الأوطان نهدي العمل

المشهد الأخير ليس كل الحقيقة

حتى لا نكتفي بالمشهد الأخير لسلسلة الفساد والإفساد ونختزلها تعسفا في عنف الألتراس بمنعطف المدرجات،

علـى شـاغلي مراكز القـرار أن ينظروا في المـرآة ولن يصعب اسـتئصال الداء مـن جذوره، فلا أحد يسـتطيع أن يختفي وراء إصبـع الاتهـام يوجهـه للآخـر والحـال أن العلّة فـي صاحب الإصبع الخبيث.

ترجمة المؤلف

سيرة ذاتية

الاسم واللقب: محمد الشريف

تاريخ ومكان الولادة: 7/ 9/ 1966 بحمام لأنف – تونس

الوظيفة: صحافي رياضي

(منتج ومعلّق)

الهاتف 58 999 258

البريد الإلكتروني: mohamedcherifcm26@gmail.com

جائـزة البرامـج الوثائقيـة للمهرجـان الخليجـي للتلفزيـون 2012 بالبحرين

حـول البطـل العالمـي والأولمبي للوثـب العالي القطري معتز عيسـى برشم

عضـو لجنـة التحكيم لمسـابقة « المعلق صوت المبـاراة » التي تنظمها قنوات الكاس الرياضية لمدة خمس دورات 2017\2018\2019 2020\ 2021

التحصيل الأكاديمية:

2019 ماجستير في الإدارة والتسيير الرياضي

موضوع الرسالة – الإعلام الرياضي والعنف في ملاعب كرة القدم

2016 بكالوريوس الإعلام – إذاعة وتلفزيون

1998 شهادة مدرب دولي

1998 شهادة مدرب فدرالي صنف «أ» للمستوى العالي

1990 شهادة التعليم العالي للرياضة والتربية البدنية

1987 شهادة الباكالوريا – آداب

الدورات التدريبية:

2020 دورة رويترز للصحافة الالكترونية

2020 إدارة الازمات والمخاطر في البطولات الرياضية – اللجنة الأولمبية القطرية

2020 الثقافة الأولمبية

2020 الدورة التدريبية للإعلاميين الرياضيين – إدارة التطوير بالاتحاد القطري لكرة القدم –

2002 دورة تدريبية في إدارة الاعلام للأولمبياد الخاص بدبي

عدد كبير من الدورات التدريبية في الاعلام والاتصال والرياضة

2001 دورة تدريبة للتلفزة التونسية بمناسبة الألعاب المتوسطية تونس 2001

الخبرات المهنية:

الاشراف لعدة سنوات على التدريب العملي والميداني لطلبة الاعلام بجامعة قطر في قنوات الكاس الرياضية

عضو لجنة التحكيم لمسابقة « المعلق صوت » المباراة التي تنظمها قنوات الكاس الرياضية مدة خمس دورات 2017\2018\2019 2020\ 2021

مؤطر للمعلقين الجدد في قنوات الكاس الرياضية
2023 منتج ومذيع للبرامج الرياضية لراديو بوقرنين
2010/ 2021 منتج ومعلق رياضي بقناة الدوري والكاس – قطر
2009/ 2010 منتج ومعلق رياضي بقناة أبو ظبي الرياضية
2005/ 2009 منتج ومعلق رياضي بقناة الدوري والكاس – قطر
2004/ 2006 محرر نشرات إخبارية أول بإذاعة قطر
1998/ 2004 منتج ومعلق ومذيع بالتلفزيون التونسي- تونس 7 –
1994/ 1998 منتج ومذيع بالتلفزيون التونسي – قناة 21 –
1997 منتج ومذيع بإذاعة الشباب
1990 كاتب صحفي في عدد من الصحف التونسية
المصور (دار الأنوار التونسية)
دنيا الرياضة
الرياضة

التعليق والتغطيات الإعلامية الميدانية:

الألعاب الأولمبية:

أولمبياد طوكيو 2020 (2021)
أولمبياد ريو 2016
أولمبياد لندن 2012
أولمبياد بيكين 2008
من ألعاب أتلانتا 1996 التعليق على كل الدورات الأولمبياد تواليا

عـدد كبير من البطولات العالمية وكؤوس العالم والدورات الدولية في مختلف الرياضات سباحة وألعاب القوى والمبارزة والملاكة والجودو والجوجوتسـو والبولنـغ ورياضـة الاحتياجـات الخاصـة والـزوارق السريعة والسيارات والراليات وغيرها .....

اللألعاب المتوسطية 2001 تونس

البطولات المختلفة:

البطولة العربية للكرة الطائرة للرجال بعمان الأردن عام 2002

الألعاب الإفريقية أبوجا – نيجيريا 2003

الألعاب الأسيوية الدوحة 2006

كأس إفريقا لكرة القدم غانا 2007

وبطولات عالمية وإقليمية وقارية وعالمية في مختلف الرياضات الكرة الطائرة وكرة اليد وكرة السلة ورياضات أخري منذ 1990

الخبرات في الهياكل الرياضية التونسية:

2022\2023 مندوب الرياضة المدنية ببن عروس

2021\2023 أسـتاذ مميـز للتربيـة البدنية بالمعهـد النموذجي بحمام الأنف

2002 / 2004 عضـو الإتحـاد التونسـي لرياضـة المعوقيـن – مديـر الإعلام

2002 / 2004 مدير الإعلام للجنة التونسية للأولمبياد الخاص

1999/ 2001 مـدرب وطنـي مسـاعد لألعـاب القـوى – لرياضـة المعوقين –

1992 مدرب ولاعب الكرة الطائرة

رئيس تحرير الجريدة الالكترونية WWW.SAPINUS.NEWS

التأليف الرياضي

كتاب: قصص أولمبية لم يروها أحد (2023)

الفهرس

إهداء 5

شكر و عرفان..... 7

تقديم: مفارقات الرياضة التونسية... أبطال يُولَدون من هشاشة المنظومة 9

المقدمة : الرياضة التونسية في سياقات الوطن 13

1. واقع الرياضة التونسية 15

2. إذا كان لابد من كرة القدم 16

الفصل الأول

العنف في كرة القدم

1. هل العنف في كرة القدم أصيل أم دخيل؟ 19

2. كرة القدم تستبطن العنف التاريخي 24

3. العنف ليس أصيلا في طبع البشر 30

4. أنطولوجيا الصراع – أنا لا أكون إلا ضدك 34

5. أنطولوجيا الصراع في كرة القدم..... 35

الفصل الثاني:

الإعلام الرياضي محرك الأزمة

1. المسكوت عنه في الرياضة التونسية 39

2. البرامج الرياضية بألوان الرعاة.. ومن يدفع يُراعَ 40

3. معركة ضارية على الرعاية والإشهار 46

4. هل أصبح الكرونيكور قائد رأي؟ 48

5. المعايير المهنية والاكاديمية لكرونيكور البرامج الرياضية 52

6. المعايير الأكاديمية والمهنية لبرنامج التوك شو الرياضي 55

7. الإعلام الجديد والفوضى الخلاقة 58

8. النفاذ إلى المعلومة..... 64
9. الصحافة الصفراء تكتسح الفضاء الإعلامي 67

الفصل الثالث

أزمات الإدارة واللولبيات

1. الجريء جيشه لا يرتاح 79
2. هلال الشابة.. ما ضاع حق وراءه طالب 82
3. جامعة الكرة واللجنة الأولمبية 87
4. التلاعب بالنتائج 90
5. أزمة الثقة تتجدد بين الجامعة والأندية 92
6. المكتب الجامعي الجديد.. والاختبار الصعب 95
7. الصراعات تعصف بالهياكل الرياضية..... 99
8. ورقة التوت تسقط عن التحكيم التونسي..... 100
9. الإفلاس يعصف بكرة القدم التونسية 105
10. وطارت أموال الجامعة 107

الفصل الرابع

فساد البنية التحتية

1. الملعب الأولمبي بالمنزه 113
2. الملعب الأولمبي بسوسة 115
3. الملاعب تنهار كما قطع الدومينو..... 116
4. المدينة الرياضية بصفاقس: المشروع المعطل..... 117
5. الملاعب المدرسية تعيسة..... 119

الفصل الخامس

جمهور الكرة

1. جمهور كرة القدم في الأحياء المهمشة والفقيرة..... 121
2. الكحول والمخدرات قبل المباراة 124
3. الألتراس 128

4. صراع قديم متواصل بين رجال الأمن والجمهور..... 135

الفصل السادس

المنظومة القانونية والمؤسساتية

1. النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين: 141
2. جمعيات الإعلام الرياضي 142
3. حرية الصحافة والإعلام بين دستورين 144
4. قانون 54 من الانفلات الى الانتقائية 146
5. تعثر مشروع قانون الهياكل الرياضية 147
6. في غياب الهايكا 150
7. من المستطيل الأخضر إلى مربع القضاء إلى الغرف السوداء 155
8. معضلة الإشهار العمومي..... 162

الفصل السابع

شهادات وخبرات

1. لقاء خاص مع عضو الألتراس السابق العربي ألتراس 169
2. لقـاء مع توفيق لعبيـدي : التلفزة الوطنية تضع البطولة بين يدي الجمهور من جديد 173
3. لقـاء خاص مع الإعلامي والمعلق الريـاضي رمزي القلعي : الإعلام الرياضي بين المهنية والفوضى..... 175
4. لقـاء خاص مع سـالم حمـزة صحفي بجريـدة المجهر :مسـؤولية الصحافة والإعلام الرياضي في تردي وضع القطاع الرياضي 177
5. الصحفي والإعلامي الرياضي شهاب الرويسي 180
6. لقـاء خاص مع المـدرب فتحي العبيدي : المباراة عـرض مسرحي.. والإعلام قد يشعل الفوضى أو يطفئها..... 183
7. لقاء خاص مع كريم المباركي : مندوب الرياضة المدنية سابقا 185

الفصل الثامن

الميثاق الأخلاقي لمهنة الإعلام

1. الميثاق الأخلاقي لمهنة الإعلام 187

2. قانون الفيفا 2023 للانضباط ومدونة الأخلاقيات 196

الفصل التاسع

قصص قصيرة

1. هل يصبح الطفل محمدو لاعب المنتخب التونسي 199
2. عصمانو.. صمود المنعطف الأخير 201
الخاتمة 205
ترجمة المؤلف 209

إذا كان لابدّ من كرة القدم للشعوب تدفن فيها مرارة الحياة ومعاناة التهميش والبطالة والفقر والقمع والاستبداد وتكون ملاذا للجمهور العريض ومنه فئة ممّن يسمون – الألتراس – تراهم في منعرجات الملاعب يحتجون ويتشابكون مع الأمن ومع الجماهير الأخرى ومع الحكّام والجامعة والرابطة وإدارة ناديهم والإعلام، وفي آخر المطاف تتصادم مجموعاته فيما بينها.

هنا نكون أمام ظاهرة مركّبة علينا أن نبذل جهدا أكبر متعدّد الأبعاد والمقاربات حتى نفكك ونفهم الخلفيات والأسباب والمحركات.

محمّد الشريف

من مواليد مدينة حمام الأنف في 7 سبتمبر 1966
إعلامي رياضي، متحصل على ماجستير في الإدارة والتسيير الرياضي
– حائز على جائزة البرامج الوثائقية للمهرجان الخليجي للتلفزيون 2012 بالبحرين
– عضو لجنة التحكيم لمسابقة «المعلق صوت المباراة» التي تنظمها قنوات الكأس الرياضية من 2017 إلى 2021.

صدر له :

– قصص أولمية لم يروها أحد – 2023.

الثمن : **30** دت

ISBN 978-9909-00-914-7